2024

سفينة النجاة

الاستغفار

والعودة إلى الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

2024 م

سفينة النجاة

الاستغفار

والعودة إلى الله

إعداد: عبلة عمر سليمان



حقوق الطبع متاحة لكل مسلم

الطبعة الأولى

٢٠٢٤م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٣٩٩٨ / ٧/ ٢٠٢٤)

عنوان الكتاب: سفينة النجاة: الاستغفار والعودة إلى الله

تأليف: علي، عبلة عمر سليمان

بيانات النشر: عمان: عبلة عمر سليمان علي، ٢٠٢٤

الوصف المادي: ١١٢ صفحة

رقم التصنيف: ٢١٢

الواصفات: / الاستغفار/ / القصص/ / الآداب الإسلامية/ / الوعظ والإرشاد

الطبعة: الأولى

- يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN: 978-9923-0-1221 -5

التنسيق والإخراج والطباعة: دار الخليج للنشر والتوزيع 0779359835



نريد أن نسلط الضوء أخي القارئ على مصدر الهمّ والعسر في حياتك.. ذلك الهمّ المختبئ داخل قلبك ولا يشعر به أحد سواك..

هذه صفحات قليلة.. فيها إعادة برمجة لذلك القلب.. إعادة ضبط لقناعاتك.

هي قواعد ربانية واضحة وصريحة.. إن قرأتها بتفكر فلن تخرج من هالة هذا الكتاب إلا بنور سطع في قلبك.. نور مصدره فهم حكمة الله في عباده..

نور تلك الشمس التي غيبتها الغفلة..

نورٌ يضعه الله جلّ وعلا في قلوب عباده العائدين إليه..

وأنّى يُطفأ ذلك النور القادم من الله .. نور السماوات والأرض

مقدمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمـًا كثيراً وبعد:

إنَّ للاستغفار علاقة شديدة وثيقة بالسلامة والنجاة حينما تعصفُ الفتن، ويُحيط البلاء بالعباد، وتكثرُ الحيرة وينتشر التخبط والشتات وما أكثره في هذا الزمان !

فلو نظرتَ نظرةً خاطفةً في أحوال عامة الناس، فإنك لن تكاد ترى إلا الهموم والابتلاءات والنوازل والمصائب قد أحاطت بالخلائق؛ إلا من رحم ربي، فأصبحَت هذه الحال هي الحال التي ألِفها الناس واعتادوا عليها، مع أن الأصل هو اليُسر والاستقرار والحياة الطيبة،

الأصل حياة مِلؤها الأمن والسكينة والطمأنينة وراحة البال..

يقول الله عز وجل :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82].

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ٣٣ ﴾ [الأنفال: 33].

فما سبب هذه المُنغصات وهذه الابتلاءات وهذه النوازل ؟

وكيف نفهم الحكمة منها ؟ بل كيف نتجنبها ؟

السبب الخفي

أخبرَنا الله عز وجلّ في القرآن الكريم أن السبب الخفي وراء تراكم الهموم والأحزان والابتلاءات والمصائب التي نراها اليوم حولنا.. والسبب الخفي وراء تسلط أعداء الدين علينا.. ما هو إلا ذنوبنا وخطايانا وسيئات أعمالنا..!

ما هو إلا ظُلمنا لأنفسنا وبما كسبت أيدينا..!

انظر حولك.. لا يكاد يخلو بيت من البيوت أو أمة من الأمم من العسر والهموم..

مع تغافل كثير من الناس عن هذه الحقيقة التي تؤكد أن مصدر شقاء ابن آدم؛ ما هو إلا ما جنَت يداه، بالرغم من إثبات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لهذا الأمر مراراً وتكراراً، لذلك سنورد بعض الأدلة القطعية التي تلقي الضوء على هذه الحقيقة..

اقرأ بقلبك ما أخبرك به عالم الغيب والشهادة :

قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النساء: 123]

وقوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ [غافر: 21].

وقوله تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ ﴾ [العنكبوت: 40].

وقولـه تعـالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: 41].

وقولـه تعالى: ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [النحل: 34].

وقوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ ﴾ [آل عمران: 11].

وقولـه تعـالى: ﴿ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأنعام: 6].

وقولـه تعـالى: ﴿ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [العنكبوت: 31].

وقولـه تعـالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى: 30].

وقولـه تعالـى: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [النحل: 118].

وقولـه تعـالى: ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم: 47].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [يونس: 13].

وقوله تعالى: ﴿ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [سبأ: 16].

وغيرها الكثير من الكتاب والسنة كما سنذكر فيما سيأتي.

إنّها الحقيقةُ الكبرى! الحقيقةُ الصادمة..

إن الهمّ والغمّ والفقر وعُسر الحال والوساوس والابتلاء وضيقة الصدر والكبَد والنوازل، ما هي إلا عقاب نزل بنا من الله تعالى؛ تأديباً على ذنوبنا التي عَمِيت قلوبنا عن رؤيتها..

هذه الهموم تمثّل جرس إنذار، تنبئ بابتعادك عن أمر الله وتذكرك بالرجوع.

وفي نفس الوقت، فإن هذا العسر والابتلاء قدّره الله تعالى على عباده رحمة بهم، تطهيرًا لهم من ذنوبٍ ارتكبوها، ذنوب خلت ومضت، لم يتوبوا منها ﴿ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ ﴾ [المجادلة: 6]، وتذكرهم بالرجوع .

فمن أراد الله به خيرًا، لَطَفَ به وطهّره من ذنوبه في الدنيا، كي لا يلحقه عذابُ الآخرة، فكان تطهيرهُ من هذه الذنوب بالمصائب والبلايا في الدنيا أهون عليه، وهي بدلٌ وعوضٌ عن تعذيبه في الدار الآخرة.

يقول عز وجل: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [السجدة: 21]، انتبه لقوله تعالى في آخر الآية: "لعلهم يرجعون"، **وما نزل بالإنسان ذلك التطهير إلا لأنه ابتعد عن التوبة والاستغفار عن تلك الذنوب، فبقيت في صحيفته واستوجبت العقاب لعله يفهم ويرجع.**

وهذه رحمة من الله بالعباد، فرُبَّ بلاءٍ أصاب عبدًا فانتبه من غفلته ونجا من النار وأدخِل الجنة.

بعكس الكفار الذين يمهلهم الله جل وعلا إلى اليوم الآخر ليكون ذلك أبلغ في العذاب والعياذ بالله.

وبذلك كان العسر والكبد على قدر الذنوب.

إذن: كل ذنب بلا توبة سينزل به تأديب وعقاب بأنواع من البلاء كلٌّ بقدره.

بالمقابل.. هناك عباد أذكياء فهموا هذه القاعدة الربانية فبادروا إلى التوبة والاستغفار ولزموها قبل أن ينزل بهم التطهير..! قبل أن ينزل بهم التأديب..! فنالوا سعادة الدنيا وسعادة الآخرة.

فكيف نحوز سعادة الدارين .. ونعيش حياةً طيبة خالية من الابتلاءات والهموم والأحزان؟

نحن نعيش في الدنيا استعداداً لحياة ثانية

لا تركز على الدنيا فقط ..

يقول العلّامة الشعراوي: الدنيا عمرك فيها محدود ولا تَقُل عمر الدنيا مليون أو مليونان أو ثلاثة ملايين سنة، عمر الدنيا بالنسبة لك هو مدة بقائك فيها، فإذا خرجت من الدنيا انتهت بالنسبة لك.

ولذلك فإن الإسلام لا يجعل الدنيا هدفاً؛ لأن أعمارنا فيها لها حد وانتهى بعدها الأمر.

يوم قيامتك .. هو يوم موتك!

والتوبة متاحة إلى أن تطلع الشمس من مغربها، ولكن ربما طلعت شمسك من مغربها الآن! هناك عبادٌ قُبضت أرواحهم البارحة، وهناك عباد ماتوا اليوم لم يُبقهم الله عز وجلّ معنا ليشهدوا هذه الساعة، أما نحن فإننا لا نضمن أن نقوم من أماكننا وننتقل إلى غرفةٍ مجاورة ! ألا تشعر أننا الآن في فرصة؟

البعض منا أدرك هذا الأمر وجهز نفسه وأعدّ لمستقبله الحقيقي منذ الآن، فتأمّل في نفسك ما هو هدفك في هذه الحياة؟ فإن كان هدفك مقتصراً على مال أو منصب أو سعادةٍ دنيوية، فأعد حساباتك واجلس مع نفسك وفكّر في هدف جديد طويل المدى، هدف يمتد إلى آخرتك وخير هدف يبدأ به العبد : السعي في الحصول على صحيفة بيضاء نظيفة يلقى بها الله عز وجلّ فيدخل بها الجنة بلا حساب ولا عذاب.

بداية طريق الفرج (الاستغفار)

قال ابن صبيح: شكا رجل إلى الحسن الجدوبة (قلة المطر)..

فقال له: استغفر الله..

وشكا إليه آخر الفقر فقال له: استغفر الله..

وقال آخر له: ادعُ الله أن يرزقني ولداً.. فقال له: استغفر الله..

وشكا إليه آخر جفاف بستانه فقال له: استغفر الله..!

فقلنا له في ذلك! فقال: ما قلت من عندي شيئاً، إن الله تعالى يقول في سورة نوح:

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢ ﴾ [نوح: 10-12].

بداية الطريق للحياة السعيدة المستقرة، والطريق لصحيفة بيضاء خالية من كل ذنب؛ تبدأ بالاعتراف بذنبك ثم التوبة..

الاعتراف بأننا نعيش في غفلة : الاعتراف بأن ما نعيش فيه من هموم وكبَد الحياة وعسر الحال: هو بما كسبت أيدينا..

فيدرك العبد أنه محل الذنوب والتقصير ولو حاسب نفسه لوجد العيوب الكثيرة، فيلزم الاستغفار ويجاهد نفسه على إصلاح ما فيها من ذنوب وعيوب، ويتوب توبة صادقة نصوح بترك المعصية والعزم على عدم العودة إليها؛ ليضمن لنفسه مقعداً في سفينة النجاة فينجو من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

ابدأ من الآن.. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: 11]، وهذه هي الخطوة الأولى في التغيير..

كيف تبدأ عهداً جديداً مع الله

﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤ ﴾ [الإسراء: 14].

كتابك الآن مفتوح ويجري عليه القلم في هذه اللحظة، وفي كل ثانية تحصى عليك أعمالك صغيرها وكبيرها بخيرها وشرها..

يوماً ما سيُطوى كتابك هذا ويُرفع!..

نعم سيُطوى ويرفع عندما تخرج من هذه الدنيا..

سَيُقال لك: اقرأ..

فتَفتح الكتاب.. وتقرأ كل ما فعلته وكل ما كسبته يداك منذ البداية..

من لحظة أُجري عليك القلم، (منذ سن البلوغ).. إلى هذه الساعة التي تقرأ فيها هذه الكلمات.. وصولاً إلى موعد أجلك.. وستقرأ كل هذا بنفسك! ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤ ﴾ [الإسراء: 14].

ماذا تظن نفسك قارئاً! وماذا ستجد في هذا الكتاب!

تصور معي وعِش تلك اللحظة.. ستقرأ فيه ما فعلته هذه الدقيقة وفي هذه الساعة وكل ما فعلته الشهر الماضي وكل ما فعلته السنة الماضية.. حتى أنك ستقرأ أشياء نسيتها كنت قد فعلتها قبل خمس سنوات وعشر سنوات وقبل عشرين سنة مضت!

﴿ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [المجادلة: 6].

معقول؟!

نعم فهذا هو العدل!.. الله جلّ في علاه أخبرنا أننا سوف نمُر في هذا الموقف المهيب عند استلام الصحف.. ﴿ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾ [الكهف: 49].

فالشخص الموفَّق منا والفَطِن.. هو الذي يبادر في تبييض كتابه وصحيفته أولاً بأول بالتوبة والاستغفار.. والله الغفور يغفر له ويعفُ عنه أولاً بأول!

قال رسول الله ﷺ:

" طوبى لمن وُجد في صحيفته استغفاراً كثيرا " [أخرجه ابن ماجه] .

حسنًا كتابك لا يزال مفتوحًا..

لم يُغلق بعد..

لم يُرفع بعد..

احمد الله واشكره؛ لأنه تركك حيّ ترزق حتى الآن.. وأنه أمْهلك حتى اللحظة كي تتوب وتغيّر مجرى حياتك.. ولم يقبضك قبل سنة أو سنتين ولا قبل خمس سنوات ولا قبل عشر سنوات!

ها هي الفرصة لائحة بين يديك إن كنت كيِّسًا فطِنًا..

لا تشغل نفسك بالمستقبل.. فالغيب في علم الله لكن اشغل نفسك بالاستغفار والإقلاع عن الذنوب وسترى حياة طيبة مليئةً بالنعم.. موصولة بالعفو والعافية.. موصولة برضا الله تعالى

حال السلف مع الاستغفار

- رُوي عن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ لِرَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أدْعُو به في صَلَاتِي، قالَ: " قُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، ولَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ، فَاغْفِرْ لي مَغْفِرَةً مِن عِندِكَ، وارْحَمْنِي إنَّكَ أنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ " [أخرجه البخاري].

وهذا الدعاء من أفضل صيغ الاستغفار وأبلغها في طلب المغفرة والرحمة، وهو من جوامع الدعاء.

- قال مكحول: ما رأيت أكثر استغفاراً من أبي هريرة.. وكان مكحول كثير الاستغفار [تفسير القرطبي] .

- وقال أبو هريرة رضي الله عنه: إني لأستغفر الله في اليوم والليلة اثني عشر ألف مرة بقدر ديتي. [الزهد] .

انظر إليه يستغفر ويتوب في اليوم اثني عشر ألف مرة على قدر ذنوبه! هذا وهو الصحابي الجليل.

كان يقضي معظم وقته في المسجد النبوي.. عداك عن صحبته للرسول عليه الصلاة والسلام يروي عنه الحديث.

فهو كان مع ذلك فهو كان يستغفر اثني عشر ألف مرة على قدر عتقه من النار!

- قال رسول الله ﷺ: "من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار" [صححه الألباني].

اللهم اجعل أنفاسنا استغفاراً.

- قال الحسن البصري:

لا تملوا من الاستغفار.. وأكثروا منه في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقكم، وفي أسواقكم، فإنكم ما تدرون متى تتنزل المغفرة فتتنزل معها الرحمات.

- **قالوا: ما الداء وما الدواء وما الشفاء؟**

قيل: الداء الذنوب..

الدواء الاستغفار..

الشفاء أن تتوب فلا تعود.

- عن عبد الله ابن عمر: إنا كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس يقول: "رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم ". [أخرجه أبو داوود]. مائة مرة في المجلس الواحد وليس في اليوم الواحد.

- **كما أن رسول الله ﷺ قال: "يا معشر النساء تصدقنّ وأكثرن من الاستغفار.." الحديث.** [أخرجه ابن ماجه] .

ومضة..

يقول الله عز وجل:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ٣٣ ﴾ [الأنفال33] .

قال ابن عباس في هذه الآية: كان فيهم أمانان : نبي الله ﷺ.. والاستغفار:

أما النبي عليه السلام فقد مضى، وأما الاستغفار فهو باقٍ إلى يوم القيامة، وقال قتادة والسّدي: أي لو استغفروا لم يعذَّبوا.. لا في الدنيا ولا في الآخرة.

اقرأ معي لنفهم المغزى من قول الرسول ﷺ : "من لزم الاستغفار جَعَلَ اللهُ له مِن كُلِّ ضِيقٍ مَخرجًا، ومِن كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، ورَزَقَهُ من حيثُ لا يَحتَسِبُ".

[أخرجه أبو داوود] .

(ومن كل ضيق): شاملة لضيق الحال؛ ضيق الصدر، ضيق الرزق، ضيق سببه المرض، أيـًا كان هذا الضيق سواء كان حسيـًا أو معنويـًا، فهو يندرج ضمن هذا الحديث الشريف.

(من كل همّ): شاملة لكل هموم البشر على وجه الأرض.. أيـًا كان هذا الهم ومهما تعاظم.

معنى الاستغفار

الاستغفار هو طلب المغفرة.. والمغفرة هي وقاية من شر الذنوب وعواقبها مع ستر هذه الذنوب.. فأنت عندما تقول استغفر الله.. كأنك تقول: يا رب قِني شر ذنوبي واسترها عليّ ولا تعاقبني عليها لا في الدنيا و لا في الآخرة.

يقول ابن تيمية: والمغفرة متضمنة لوقايتهم شر ذنوبهم وإقباله عليهم ورضاه عنهم، فيسترها الله على المستغفر ولا يفضحه ويمحُ عنه عقوبة ذنوبه في الدنيا والآخرة بل ويودُّ الله عز وجل عبده المستغفر ويحبه.

فلا تعلم ماذا يدفع الله عنك من عقوبات وما تناله من رفعة الدرجات بكثرة الاستغفار.

اللهم إنا نسألك مغفرة شاملة لجميع ذنوبنا ترفع بها عنا كلّ بلاء وكلّ سوء قضاء إنك غفور رحيم.

أنواع الذنوب

هناك أنواعٌ من الذنوب يغفل عنها الكثير، وهي من أعظم أسباب نزول البلاء على العباد وهي بالمجمل:

- إما مرض قلبي..

غِلٌّ على المسلمين.. احتقار الناس واستنقاصهم.. خيلاء.. حقد.. تمني زوال نعمة.. شماتة.. ضغينة.. عجب.. كبر.. غرور.. رياء.. سخرية.. استهزاء.. سوء ظن في الناس.. وغيرها

لا تستغرب من أن للقلب ذنوبـًا، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : "الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار..." الحديث [أخرجه ابن ماجه].

وقد نهى النبي عليه السلام عن التباغض فقال: "لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانـًا ولا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث" [صححه الألباني].

والتدابر: هو أن يولّي المسلم أخاه المسلم ظهره ودبُره إما حسيّـًا؛ فلا يجالسه ولا ينظر إليه، وإما معنوياً ؛ فلا يُظهر الاهتمام به وهذا نهيٌ للتحريم .

وانظر لمن يحمل في قلبه ضغينة أو غلاً أو شحناء كم يفوته من الأجر العظيم..

فقد حذّر نبينا الكريم من هذا الأمر عندما قال: " تُفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيُقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا .. أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا" وفي رواية:" إلا المُهتَجِرين " [صحيح مسلم] ، **فراجع قلبك لعله يكون سبب العسر في حياتك!**

- أو مرض لسان..

غيبة ونميمة.. طعن وسخرية بالقول.. استهزاء بالمسلمين سب وشتم وطعن ولعن.. فحش بالقول.. لمز بالتلميح أو بالكلمة أو بانتقاد العباد.. لسان سليط وحاد.. كذبٌ وافتراء على الناس.

قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ﴾ [الهمزة: 1].

قال السعدي في الآية: ويل: وعيد ووبال وشدة عذاب لكل من انتقص من مسلم .

قال رسول الله ﷺ :"من قال في مؤمنٍ ما ليس فيه أسكنه اللهُ رَدْغَةَ الخَبالِ حتَّى يخرُجَ ممَّا قال " [أخرجه أبو داوود وأحمد] .

والمرادُ: من افترى على مؤمن كذبًا، فجزاؤه أن يُعذَّب بِعُصارةِ أهلِ النَّارِ وصَديدِهم، "حتَّى يَخرُجَ ممَّا قال"؛ وذلك بأَن يَتوبَ ويَستَحِلَّ ممَّن قالَ فيه ذلك.

- أو مرض جوارح..

سيئات ومعاصي وآثام ظاهرة أو خفية.. حياة بعيدة عن الله.. أكل حقوق الناس وتقصير بحقوق الله.. أذى المسلمين.. ربا.. أكل ميراث.. تقصير بالفروض

والواجبات.. ضرب هذا وشتم هذا وقذف في عرض هذا وخاض مع الخائضين في أعراض المسلمين.. همز بالجوارح.. بغمزة عين أو بإشارة فم أو تلويح باليد.

ومنهم من اشتغل بالمقارنة والغيرة.. لماذا هو وليس أنا..؟ انشغل بعيوب وعورات الخلق عن عيوبه.

تسخّطٌ على أقدار الله وكفران للنعم.. النتيجة: تحول هذه النعم إلى نقم..

وجحود النعمة من الخصلات التي تتبعها عواقب وخيمة ولا يشعر العبد بخطورتها.

وما أكثر المعاصي في هذا الزمان..

سب وشتم وقذف.. وقطيعة للأرحام.. متابعة للمطربات والقينات.. تبرج وعلاقات محرمة.. زنا وخمور ومخدرات وانتشرت بين الفتيات في الآونة الأخيرة مع التبرج.. التدخين والأراجيل في المقاهي وفي الساحات العامة (مجاهرة بالمعاصي).. وتصلُ الجرأة على الله بسب الذات الإلهية والعياذ بالله من عبدٍ فسدت عقيدته وفسد قلبه.

كثرت الذنوب وأُلِفَت المعاصي، وهذه بعض أنواعها، ذكرناها ليعرف كل منا من أين يتسرب العسر والهم والحزن إلى حياته.

فليكن كل منا رقيبٌ على نفسه، وليقف مع نفسه وقفة صادقة، فإن أول خطوات التغيير الاعتراف بالتقصير، والإقرار بالذنوب والخطايا.

ما بالك لو نظر الله عز وجل إلينا ونحن في هذه الحال نظرة تصنيف للعباد: "ليميز الخبيث من الطيب" ؟! مع أي صنف سيكون أكثر أهل الأرض ؟ مع الخبيث أم مع الطيب؟ بل مع أي صنف ستكون أنت ؟!

أليست هذه الذنوب مستحقة للتأديب ؟!

إذا نظرت إلى حال الأمة ستعلم يقينـًا سبب ما حل بها من ظلم و ذُل وهوان ..

قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لأحد قادة الجند: ... وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوَف عليهم من عدوهم .

أما آن لك أن تتوب كي يرحمنا الله وينصرنا؟!

– ما هلكت الأمم إلا بذنوبها ولن تنتصر الأمة إلا باستغفارها وتوبتها ورجعتها إلى كتاب الله وسنة نبيها ﷺ وإقلاعها عن الذنوب والمعاصي صغيرها وكبيرها.

– استغفارك سهم نصر للأمة والذنوب والمعاصي سهام الهزيمة فاحذر.

– يقول العلامة الطريفي: تهزم الأمة بذنوبها، ومن جاهر بالمعصية زمن جهاد العدو فإنه يقف مع العدو وإن لم يشعر؛ فالطاعات هي سهام النصر، والمعاصي سهام الهزيمة.

- حقوق العباد

انتبه ثم انتبه.. حقوق العباد من أخطر أنواع الذنوب والسيئات.. تبقى في رقبة العبد إلى يوم القيامة حتى يأخذ كل ذي حق حقه.. سواء أكانت الحقوق مادية أو معنوية.

وحتى الحقوق القلبية كالغل أو الحسد أو الحقد على العباد وكذلك سوء الظن.. كلّ سيأخذ حقه منك يوم القيامة فاحذر أشدّ الحذر، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ ﴾ [الحجرات: 12]، الأذى باليد كالضرب.. أو بالكلام ككلمة قلتها في حق إنسان وهي ليست فيه.. كل همزة أو لمزة أو إشارة باليد أو بالعين أو بالفم.. ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ﴾ [الهمزة 1] .

كلهم خصومك يوم القيامة!

مالك وللناس؟!

انشغل بنفسك.. انتبه لصحيفتك ولكتابك الذي ستستلمه لتلقى به الله.

وإذا أتتك عورة من عورات المسلمين فلا تنشرها، بل اجعلها تقف عندك.. إن الله عز وجلّ يبغض الذين يشيعون الفاحشة بين المسلمين.. قال رسول الله ﷺ:"كفى بالمرء كذبـًا أن يحدث بكل ما سمع" [أخرجه مسلم].

كم من قلوب تغيرت بسبب غيبة أو كذبة أوغل..؟

كم من شخص شاع عليه ما ليس فيه..؟

بالمقابل.. كل من نشر الإشاعات وخاض مع الخائضين.. سيقف بين يدي الله مطالَبٌ برد الحقوق لمن خاض فيهم، وكذلك سيرد باقي حقوق البشر عليه .

كيف أتخلص من ذنوبي؟
كيف أتحلل من حقوق العباد؟

أولاً: التحلل من الحقوق المادية :

ابدأ بإرجاع الحقوق المادية كلها صغيرة كانت أم كبيرة، أي شيء أخذته بغير حق، أو مال أخذته متعمداً أوبالحياء، مال ميراث، غش، أكل أموال الناس بالباطل.

- شرط التحلل من الذنب المتضمن لحق آدمي:

أن يرجع الحق لصاحبه ويُصلح ما أفسد أو يسترضي من أخطأ في حقه فيسامحه .

قال رسول الله ﷺ : "من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها، فإنه ليس ثمّ دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أُخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه " [رواه البخاري].

أما الذنوب التي فيما بينك وبين الله من تقصير ومخالفات.. فيكفيك منها توبةٌ نصوحةٌ وندمٌ صادقٌ وعدم الإصرار على الذنب.. وكثرة الاستغفار بالليل والنهار.. وأبشر برحمة الله.

ثانيـًا: التحلل من الحقوق المعنوية :

من أذى نفسي للمسلمين، أو غيبة أو نميمة، أو كسر خواطر، أو استهزاء وانتقاص ونحوه، وذلك بأن تتحلل منهم فيسامحوك، فإن لم تستطع، فاستغفر لهم بقدر ما أذيتهم.

وحاول أن تجبر ما كسرت، وأن تصلح ما أفسدت فكما هدمت.. فحقٌ عليك أن تبني !

ومن ثمّ خذ بوصية رسول الله عليه الصلاة والسلام حينما سُئل عن النجاة فقال: "أمسك عليك لسانك، وليسَعك بيتك، وابكِ على خطيئتك " [رواه الترمذي].

لا الصلاة ولا الصيام تكفر الذنوب التي بينك وبين الناس.. ولا حتى الحج المبرور.

لا يكفر حقوق العباد عليك إلا ردّها لأصحابها.. أو التحلل منها في الدنيا والتوبة النصوح .. ومن ثم الإكثار من العمل الصالح الذي يستوعب كثرة الذنوب.. والإكثار من الاستغفار لك ولمن لهم حق عليك، فإذا جاءوا ليأخذوا حقوقهم منك يوم القيامة وجدوا في صحيفتك استغفاراً لهم، فأخذوه بدل أن يأخذوا من حسناتك.

قيل: لأَن تلقى الله ﷻ بسبعين ذنبا فيما بينك وبينه، أَهون عليك من أَن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد!

إن الله عدل لا يقبل الظلم لعباده، ولن يتهاون في حق عبد مؤمن ظُلِم بقول أو بفعل، أو بحقد وحسد، أو بسوء ظن، أو حتى بهمز أو لمز أو بإشارة..

حقوق العباد، من أثقل أنواع الذنوب عند الله وهي تحتاج إلى ألوف مؤلّفة من الاستغفار! بالإضافة إلى ردها أو التحلل منها..

ولكن :

بقي هناك مخرجٌ للنجاة من حقوق البشر علينا :

التوسل إلى الله..

وهذا مخرج آخر لمن كان عليه حقوق معنوية أو مادية لأحدهم ولم يستطع التحلل منها..

عليك بالتوسل إلى الله كما توسل إليه أصحاب الغار بأعمالهم الصالحة..

وهم ثلاثة رجال آووا للمبيت في غار فلما دخلوه، انحدرت عليهم صخرة من الجبل، فسدّت عليهم الغار، فدعوا الله ﷻ بصالح أعمالهم فانفرجت الصخرة ، وخرجوا من الغار.

كيف نتوسل إلى الله..؟

بأن نعفو عمّن ظلمَنا طمعـاً في عفو الله عنا.. وطمعـاً في أن يسخر الله عز وجل قلوب من ظلمناهم للعفو عنا.

وذلك بأن تدعو الله عز وجل : اللهم إني عفوت عن كل من ظلمني وآذاني لوجهك الكريم وطمعاً في رحمتك، فإن كان ذلك العفو خالصاً لوجهك فأسألك أن تعفو عني وتسخر قلوب من لهم حق علي ليعفوا عني يا أكرم الأكرمين.

وعليك بعد رد الحقوق لأصحابها والتحلل منها والاستغفار لأصحابه، بلزوم الاستغفار وذلك بأن تخصص لك ورداً يومياً لا تتنازل عنه ما حييت.

قالوا: من استغفر لمن ظلمه أمن عذاب الله.

اللهم اغفر لنا ولمن ظلمنا ولمن ظلمناه.

إلى متى أستغفر..؟

عليك بالاستغفار بقدر ما قصرت في جنب الله، وبقدر ذنبك وبقدر غفلتك وبعدك عن أوامر الله.

وبقدر أذيتك لعباد الله، استغفر بقدر ما جَرحت العباد بلسانك، وبقدر ما أذيتهم بيدك، استغفر بقدر ما أفسدت بين فلان وفلان، وبقدر كل غيبة، وبقدر الذنوب القلبية، بقدر خوضك في أعراض الناس وكشف عوراتهم وفضح أسرارهم..

وبقدر ما تمنيت من زوال النعَم عن المسلمين، استغفر بقدر ما كسبَت يداك.. وبالمقابل كن ذكيا ولا تُحمّل نفسك وزراً جديدا من أوزار العباد..

يكفي.."أمسك عليك لسانك"!!

اعلم أن التوبة والاستغفار يجب أن لا يفارقا العبد الصالح ما أحياه الله، فالإنسان لا يزال يخرج من ذنب، ليقع في تقصير، أو غفلة، والمنقذ الوحيد له من تبعات هذه الأمور، ملازمة الاستغفار.

ولذلك قال عليه الصلاة والسلام:

"إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها" [أخرجه مسلم].

وإنكم تذنبون بالليل والنهار وهذا يعني أن عليكم الاستغفار بالليل والنهار.. وهذا ما يسمى بملازمة الاستغفار كما جاء بالحديث الشريف.

وحتى المؤمنون أُمرهم الله عز وجل بالتوبة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨ ﴾ [التحريم: 8].

ولا بد من المحاسبة و المجاهدة..

بأن تجاهد نفسك على ترك الذنوب بكل استطاعتك..

ثم تحاسب نفسك على ذنوبك وخطاياك إن زللت.. ولو كانت زلتك من الصغائر.. حتى ترزق التقوى والاستقامة من كثرة المجاهدة والمحاسبة..

المستغفرون بالأسحار

﴿ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ ﴾ [الذاريات: 18].

أقرب أوقات الاستغفار إلى الإجابة، ما كان في الأسحار، والسّحر هو الثلث الأخير من الليل ويستمر إلى ما قبيل الفجر.

ينادي الله تعالى في وقت السحر..

قال رسول الله ﷺ: " ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول : من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟" [متفق عليه] .

خير الاستغفار.. الاستغفار بالأسحار.. وهو من أبلغ الاستغفار..

ولا شيء أجمل من استغفار وتضرّع إلى الله تعالى في سجودٍ طويل وقت السحر.. تشعر فيه بأنك في كهف الأمن والأمان والسلام والنجاة من كل المخاوف.. كهف رحمة الله.. فيه الدواء والشفاء.. الافتقار واللجوء إلى الله سبحانه رحمة مطلقة.

المستغفرون بالأسحار.. مدحهم الله عز وجل في القرآن الكريم وأثنى عليهم فقال فيهم :

- ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦ ﴾ [السجدة: 16].
- ﴿ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧ ﴾ [آل عمران: 17].

- ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ۝١٨ ﴾ [الذاريات: 17-18].

قيل: في وقت السحر تجتمع ملائكة الليل والنهار.. وهو الوقت المشهود فيقول الله ﷻ على ملأ منهم: " إني غفرت لعبدي" [تفسير الرازي- مفاتيح الغيب] .

والاستغفار في السحر فيه سر عجيب..

يعطي الإنسان قوة في القلب وقوة في الإيمان.. وسكينة وطمأنينة.. فيبدأ يومه بيُسر وقوة إيمان وقوة بدن وروح.. فلا يكون إنساناً رقيقاً هشّاً ضعيفاً يضعف وينكسر عند أدنى موقف.

في السحر يسجد العبد ويعتذر ويتوب ويبكي ويستغفر ويرجع إلى الله فيجد لذة ما بعدها لذة.. إنها لذة مناجاة الله.. التي تزيل عنه كل ما أثقل روحه وأثقل صدره.

سجودك في جوف الليل.. هو وطنك وعزتك.

السجود في السحر رفعة ونصرة وأمن وأمان وحفظ ورعاية من الله الحفيظ .

اطلب المغفرة من الغفّار في هذا السجود وفي هذا الوطن.. استغفر لك ولوالديك ولأحبتك، استغفر للمستضعفين ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات.. فالسحر هو وقت الاستغفار.

إياك والشرك !

من عظيم عفو الله سبحانه.. أن ذنوب العبد إذا بلغت ما بلغت ولو وصلت عنان السماء.. فرجع إلى ربه بدعاء وتوبة ورجاء وعهد وتقوى.. فإنه عز وجل يغفرها له ويمحوها من الوجود.. بشرط ألا يشرك بربه شيئاً:" ثم جئتني لا تشرك بي شيئاً"..

قال رسول الله ﷺ:

" قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة " [أخرجه الترمذي] .

الإشراك بالله لا يقتصر على عبادة شيء مع الله – والعياذ بالله – بل يكون أيضاً بالتعامل بالسحر أو بالتعلق الزائد بغير الله، حتى يعتقد أن أمره ومصيره بيد فلان وفلان وينسى الله..! ويعتقد أن نفعه وضره بأيديهم.

المؤمن يأتي لله بتوحيد الله فقط.. يعبد الله بدون نفاق وبدون رياء .. يأتيه بقلبٍ لا يزاحمه حبٌ مع حب الله.

لا تُعلق رزقك أو سعادتك بشخص أو بشيء أو بوظيفة، ولا تعلق آمالك بأبيك ولا بأخيك ولا بزوجك ولا بابنك ولا بمالك ولا بعلمك ولا بنفوذك ولا بأي شيء آخر، لا تجعل في قلبك تعلقاً إلا بالله ﷻ.

ليس المقصود بالتعلق هنا التعلق الفطري الطبيعي..

بل هو التعلق الذي يعتقد فيه العبد أن هؤلاء يملكون سعادته و نفعه أو ضره..
ولا يملك النفع والضر والمنع والعطاء إلا الله عز وجل .

صلاة التوبة

ثبت عن النبي ﷺ من حديث الصدّيق أنه قال: " ما مِن عبدٍ يذنبُ ذنبًا، فيُحسنُ الطُّهورَ، ثمَّ يقومُ فيُصلِّي رَكْعتينِ، ثمَّ يستغفِرُ اللهَ، إلَّا غفرَ اللهُ لَهُ، ثمَّ قرأَ هذِهِ الآيةَ: وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاستغفروا لذُنوبهم ومَن يغفِر الذّنوبَ إلا الله ولَم يُصرّوا على ما فعلوا وهُم يَعلَمون " [صححه الألباني] .

قُم صلّ لله ركعتين.. صلّ صلاةً مقرونةً بالاستغفار مع الندم والعزيمة والنية الصادقة في عدم العودة إلى الذنب مع تركه بالكلية.. وأبشِر بالمغفرة ممن وسعت رحمته كلّ شيء.

كيف تعامل السّلف مع كدر الدنيا وهمها..؟

- استطال رجل على أبي معاوية الأسود وأسمعه شراً، فقال أبو معاوية: أستغفر الله من الذنب الذي سلّطك علي.

لامَ نفسه قبل أن يغضب ممن سبّه.

- أحدهم يقول: إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق زوجتي ودابتي..

عرفوا من أين ما هم فيه فعالجوا أنفسهم بالاستغفار.

- قال ابن سيرين: إني لأعرف الذنب الذي حمل علي الدين: قُلتُ لرجل منذ أربعين سنة: يا مفلس! ..

- وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله : قلَّت ذنوبهم فعلموا من أين يؤتون، وكثرت ذنوبي وذنوبك فلا ندري من أين نُؤتى!

- زلزلت المدينة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أيها الناس ما هذا؟! ما أسرع ما أحدَثتُم! لئن عادت لا أساكنكم فيها!

أي أن ذنوبهم كانت سبباً في زلزال المدينة.

- قال الحسن البصري: إذا رأيت في ولدك ما تكره فأعتِب ربك.. فإنما هو شيء يُراد به أنت!

-أي ذنوبك هي السبب - .

- وقال مالك بن دينار: إن الله عز وجل إذا غضب على قوم سلّط عليهم صبيانهم .

إياك ثم إياك والذنوب فإنها ماحقة تزيل النعم..

- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: وأيمُ الله ما كان قوم في خفضٍ من عيش فزال عنهم إلا بذنوب اجترموها، لأن الله تعالى ليس بظلّام للعبيد، ولو أن الناس حين تنزل بهم النقم فزعوا إلى ربهم بصدقٍ من نيّاتهم ووله من قلوبهم لردّ عليهم كل شارد.

الذنوب تزيل النعم حتى عن أهل الصلاح..

- وانظر في قصة سيدنا يونس عليه السلام عندما خرج من قريته مغاضبـًا قومه وهو لم يؤمر من الله بالخروج.. فالتقمهُ الحوت وحُبس في بطنه ولم يخرج إلا بعد أن اعترف ونادى وقال: ﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ ﴾ [الأنبياء: 87].

لا إله إلا أنت: أي تنزهت عن الظلم وتعاليت ربنا.

إني كنت أنا من الظالمين.. أنا الذي ظلمت نفسي وخرجت من القرية دون إذن ربي.

- آدم عليه السلام عندما عصى ربه، نزع الله عنه لباسه وأخرجه من الجنة هو وزوجته..

والحل في الاستغفار..

- قال علي بن أبي طالب: ما ألهم الله سبحانه وتعالى عبداً الاستغفار وهو يريد أن يعذبه.

- **وقال رضي الله عنه: العجب لمن يهلك ومعه النجاة..**

قيل : و ما النجاة ؟ قال : الاستغفار.

فكيف بك إذا أمسكت صحيفتك يوم النشور فوجدت بين كل سطرين استغفاراً؟!

أليست هذه فرحة عظيمة في ذاك اليوم العصيب؟!

- قال الحسن البصري رحمه الله : لا أظن أن الله يعذب رجلاً مستغفراً.. فقيل: لماذا؟ فقال: من الذي ألهمه الاستغفار؟ فقيل: الله. فقال الحسن: كيف يلهمه الاستغفار وهو يريد به أذى؟!

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ٣٣﴾ [الأنفال33] .

- قال عبد الله بن مسعود: إن في كتاب الله لآيتين.. ما أذنب عبدٌ ذنباً فقرأهما فاستغفر الله إلا غفر الله له:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٣٥ ﴾ [آل عمران135] .

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ١١٠ ﴾ [النساء: 110].

الاستغفار منهج نبوي

كان الرسول عليه الصلاة والسلام يستغفر ربه ويتوب إليه امتثالاً لأمر الله سبحانه في قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣ ﴾ [النصر: 3]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة " [رواه البخاري].

- عن الأغرّ المزني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " إِنَّه لَيُغَانُ علَى قَلْبِي، وإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ في اليَومِ مِائَةَ مَرَّةٍ " [رواه مسلم].

ولم يكن استغفار النبي عليه الصلاة والسلام عن ذنب، حاشاه فهو المعصوم، بل كان استغفاره في حال انشغل في قضايا المسلمين أو بأمر ما، عن ذكر ربه ومراقبته ومشاهدته بقلبه، فمقامه العالي عليه السلام يستوجب دوام مراقبة الله سبحانه، ودوام حضور قلبه معه.

- وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: إنَّا كنَّا لنعُدُّ لرسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في المجلسِ يقول: "ربِّ اغفِرْ لي وتُبْ عليَّ إنَّك أنت التَّوَّابُ الغفور مائةَ مرَّةٍ " [أخرجه أبو داوود والترمذي].

كانوا يعدون له مئة استغفار في المجلس الواحد، وليس في اليوم!

- ولا نغفل عن سيد الاستغفار:

قالَ رسول الله ﷺ : " سيد الاستغفار أن تقول: اللَّهُمَّ أنْتَ رَبِّي لا إلَهَ إلَّا أنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا علَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما صَنَعْتُ، أبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لِي؛ فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ مَن قالَها مِنَ النَّهارِ مُوقِنًا بها، فَماتَ مِن يَومِهِ قَبْلَ أنْ يُمْسِيَ، فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ، ومَن قالَها مِنَ اللَّيْلِ وهو مُوقِنٌ بها، فَماتَ قَبْلَ أنْ يُصْبِحَ، فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ " [أخرجه البخاري] .

أفضل العباد عند الله أكثرهم استغفاراً وأقلّهم ذنوباً..

عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنكم لن تلقوا الله بشيء هو أفضل من قلة الذنوب.

- وإن كان فر من الزحف:

قال رسول الله ﷺ: "من قال أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غُفر له وإن كان فر من الزحف " [أخرجه الترمذي وصححه الألباني] .

والفرار من الزحف من صف القتال من أكبر الكبائر، بل هو من السبع الموبقات التي هي أعظم الذنوب!

فإذا كان هذا الاستغفار يغفر هذه الكبيرة، فهو من باب أولى سيغفر ما دونها من ذنوب _ما سَلِم من حقوق العباد _ولا يكون ذلك للمُصرّ على الذنب الذي يقوله بطرف لسانه دون استحضار التوبة، بل التوبة شرط أساسي مقرون مع الاستغفار والإقلاع عن الذنوب والمعاصي كلها.

- **والتوبة تعني الندم .**

قال عليه الصلاة و السلام: " الندم توبة " [أخرجه ابن ماجه وأحمد] .

استثمر يومك..

إن لم تشغل نفسك بالحق، شغلتك بالباطل..

لا تدَع عمرك يضيع هباءً..

نحن نستيقظ صباحاً ولا نشعر إلا وقد حلّ الليل، دون أن ندرك كيف أمضينا ذلك اليوم، ودون أن ننتبه لما أعددناه لحياتنا الأبدية!

الأيام في تسارع رهيب! فلينظر كل منّا إلى ما بنى لنفسه، ولينظر إلى الأسبوع الذي مضى، وإلى الشهر الذي مضى، وإلى السنة التي مضت، ليبحث عما أعدّه لنفسه من رصيدٍ لحياته الحقيقية السرمدية المؤبدة، فإن كان مسارعاً في الخيرات مداوماً على الطاعة؛ فليبشر وليثبت على ما هو عليه، وإلا فهو في خطر، وليتدارك الأمر قبل فوات الأوان.

نحن ماضون إلى سفر لن نعود منه، ولكنها حقيقة مُغيّبة عن عقولنا، أنسانا إياها الشيطان وألهتنا عنها الدنيا.

قيل: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا!!

والغفلة مقبرة الأحياء..

فلينظر كل منا في زاده الذي سيسافر به وحيداً!

الهدف من الأوراد اليوميّة التي نضعها لأنفسنا هو استثمار أوقاتنا وأعمارنا، والحفاظ عليها من الضياع، هربًا من الغفلة التي تتسلل إلى حياتنا كاللص الخفي.

فمع كل ورد تُلزم به نفسك، من استغفار، أو أذكار صباح ومساء، أو تلاوة جزء من القران، أو حفظ صفحة، أو ركعتين قيام الليل، أو ضحى، أو ساعة خلوة مع الله، أو صدقة دائمة أو طلب للعلم الشرعي و غيره، فإنك تُخرج نفسك من دائرة الغفلة التي تسرق الأعمار.

اجتهِد في هذا الورد اليومي ما استطعت، وداوم عليه فإن خير الأعمال أدوَمه وإن قلّ، وهو خير ما تستثمر به وقتك وعمرك، ففيه تبييضٌ لصحيفتك، ورفعةٌ لدرجاتك، وجلبٌ للسعادة والسكينة إلى روحك، ودفع للملل والهم والغم والبلاء عن حياتك، اعقد العزم وابدأ وأبشر بتيسير الأمور ومعونة الله وتوفيقه لك.

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69] .

الاستغفار له سر..

وسر الاستغفار أن يخرج من موضعين:

- من اللسان..
- ومن القلب صاعدًا..

فإذا نطق به اللسان وخرج من القلب فإنه يواصل صعوده إلى السماء، ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ۝١٠ ﴾ [فاطر: 10]

فليستغفر العبد مستحضرًا عظمة الله وجلاله وهيبته، وأن الله قادر على أن يستبدله ويهلكه بذنوبه..

مستشعراً خطورة ذنوبه وكثرتها..

ومستحضراً افتقاره إلى الله سبحانه وحاجته إليه، صادقًا في استغفاره، خاشعًا مُخبتًا لربّه.

شروط الاستغفار

- الشرط الأول: ترك المعاصي والتوبة النصوح.

وهو الشرط الأول من شروط الاستغفار الصحيح.. فثقل الذنوب والمعاصي يأتي من تراكمها بدون مبالاة من العبد..

خطورة التساهل بالذنوب..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إيَّاكُم ومحقَّراتِ الذُّنوبِ فإنَّهنَّ يجتمِعنَ على الرَّجلِ حتَّى يُهلِكنَهُ كرجلٍ كانَ بأرضِ فلاةٍ فحضرَ صنيعُ القومِ فجعلَ الرَّجلُ يجيءُ بالعودِ والرَّجلُ يجيءُ بالعودِ حتَّى جمعوا من ذلِكَ سوادًا وأجَّجوا نارًا فأنضجوا ما فيها" [صحيح الجامع].

عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: "يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً" [صححه ابن حبان].

قال رسول الله ﷺ :"أتدرون ما المفلس؟ " قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال : إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طرح في النار". [أخرجه مسلم] .

تراكمت عليه الذنوب دون أن يشعر.. ظنّ أنها صغائر لا تزِنُ شيئاَ.. فقذفته في النار والعياذ بالله.

الحل:

الإقلاع عن الذنب مع التوبة .. فلا يكفي تحريك اللسان بالاستغفار عن الذنب لكي يُمحى من صحيفتك.. الاستغفار وحده لا يمحُ الذنب من الصحيفة **!!**

بل يجب أن يُقرن مع: الترك + التوبة (الندم).

"التوبة ندم" فإن لم تندم على ذنبك فإنه لن يُمحى ! وهذه هي الحقيقة !

وَمَن ندمَ تركَ الذنوب والمعاصي صغيرها وكبيرها..

ومن ثم جدد العهد مع الله على التقوى والاستقامة ما استطعت إلى أن يلقى الله.

- الشرط الثاني: لزوم الاستغفار.

لزوم الاستغفار بمعنى الاستغفار المكثف ليل نهار بأعداد كبيرة.. ألوفٌ مؤلّفة كما فعل أبو هريرة وبعض السلف.

- الشرط الثالث: الاستغفار بخشوع وحضور قلب.

لا بدّ وأنت تستغفر أن تستشعر ذنوبك وخطاياك وأنك تغسلها باستغفارك..

قد تحتاج إلى فترة حتى تغسل كل ذنوبك.. بعدها ستصل إلى مرحلة يُغسل فيها قلبك.. فيصبح قلباً حيًا أبيض صافياً مؤهلاً ليتشرب نعيم الدنيا والآخرة.. قلبٌ لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض.. فيحيا في نعيم القرب من الله.. ويذوق حلاوة الإيمان.

بعدها بفترة سيمتلئ هذا القلب بنور الله وحب الله.. فالاستغفار له قوة تزيد من اتصال العبد بالله..

وكل هذا تدريجياً مع الأيام وليس من الوهلة الأولى..

كلما مُحيت ذنوبك بالاستغفار كلما قطفت الثمرات وذُقت نعيم الدنيا..

فالزم الاستغفار حتى تنزاح عنك كل ظلمة وشتات وحيرة.. وحتى تعيش جنة الدنيا قبل جنة الآخرة .

إذن لكي تقطف ثمرات استغفارك حقق هذه الشروط الثلاثة:

- ترك المعاصي والتوبة النصوح (الندم).
- لزوم الاستغفار.
- الاستغفار بخشوع وحضور قلب.

استغفار الرسول عليه الصلاة والسلام في الصلاة

كيف كان نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام يستغفر داخل الصلاة؟

كان عليه الصلاة والسلام كثير الاستغفار في الصلاة، كيف لا وذلك أقرب للإجابة منه في سائر الأوقات.

- أولاً : في دعاء الاستفتاح:

كان رسول الله ﷺ عندما يكبر تكبيرة الإحرام ليبدأ بالصلاة.. كان يبدأ بدعاء الاستفتاح قائلاً:

" اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد " [متفق عليه] .

جعل رسولنا الكريم الاستغفار في دعاء الاستفتاح لأنه يعلم خطورة الذنوب على العباد..

فما هي المعاني العظيمة المنطوية تحت هذا الدعاء..؟

1. اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، أي: باعد بيني وبين أن أذنب كما باعدت بين المشرق والمغرب وباعد بيني وبين أثر هذه الذنوب كما باعدت بين المشرق والمغرب فلا يضرني حرّها ولا تطولني عقوبتها.

2. اللهم نقّني من خطاياي كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس: اختص الثوب الأبيض بالذكر، لأنه كالصحيفة البيضاء، يظهر عليه أدنى بقعة أو دنس، كنقطة الحبر

إذا وقعت على الثوب الأبيض، وكذلك الصحف إذا بقي فيها شيء من أثر الذنوب فهو ضرر على ابن آدم ، المعنى: اجعل صحيفتي بيضاء كالثوب الأبيض النقي فلا يبقى فيها أي أثر لذنب .

ولم يكتَفِ الرسول عليه الصلاة والسلام حتى قال:

3. اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد: لم يقل اغسل قلبي، بل قال اغسلني؛ لأن الذنوب تعمّ كل جوارح الإنسان، وكلها تحتاج إلى غسيل وتطهير وليس فقط القلب!

وذكَر الماء البارد، فلم يقُل اغسلني بالماء الحار مع أنه أبلغ في إزالة الأوساخ..

بل قال اغسلني بالماء والثلج والبرد، قال العلماء: لأن الذنوب لها حرارة! الذنوب نارٌ وشرار لا يطفئها إلا البرَد والثلج كأن المُذنب الذي يعيش وسط ذنوبه يعيش وسط نار يحتاج لماء بارد وثلج ليطفئها.

- ثانيـًا : كان النبي عليه الصلاة والسلام إذا مر بآية استغفار أثناء تلاوته، وقَف واستغفر، وذلك أثناء صلاة النافلة.

- ثالثـًا : إذا ركع عليه السلام كان من ضمن ركوعه طلب المغفرة بقوله:

" سُبّوح قُدّوس رب الملائكة والروح" [أخرجه مسلم] .

أو يقول: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي" [متفق عليه] .

بعد أن يقول: سبحان ربي العظيم ثلاثـًا.

وفي هذا التنويع في الأدعية حفظٌ للسنة.

- رابعـاً : في السجود كان عليه السلام يقـول: "سـبحانك اللهـم ربنـا وبحمـدك اللهم اغفر لي" [متفق عليه] . وذلك بعد أن يقول: سبحان ربي الأعلى ثلاثـاً.

أو يقول : " اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقّه وجلّه، وأوله وآخره، وعلانيته وسـره "

[رواه مسلم] .

- خامسـاً :قبل التسليم بعد التشهد الأخير فإنه عليه الصلاة والسلام كان يقول: "اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ومـا أسـررت ومـا أعلنـت ومـا أسـرفت ومـا أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت " [رواه مسلم] .
- سادسـاً : يسلم ويقول: " أستغفرالله، أستغفرالله، أستغفرالله " [رواه مسلم] .

وكان نبينا عليه الصلاة والسلام عندما يصلي قيام الليل، يقوم الركعة بسورة البقرة وآل عمران..

- ويركع في ركوعه مثل الوقت الذي قام.. كُل هذا يدعو ويستغفر.
- ويسجد في سجوده مثل الوقت الذي ركع..
- ثم يجلس جلوسـاً طويلاً بين السجدتين.. مثل وقت سجوده.. وهـو يسـتغفر ويقول:

" رب اغفر لي.. رب اغفر لي" [صححه الألباني] .

ويقول: " اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني واهدني وارزقني"

[رواه الترمذي وصححه الألباني] .

وكُلّ هذا يدعو ويستغفر.

إذن فقد طلب الرسول عليه الصلاة والسلام المغفرة من الله عز وجل، في جميع أجزاء الصلاة:

- في دعاء الاستفتاح.
- أثناء تلاوة القرآن بعد الفاتحة في النافلة.
- في الركوع .
- في السجود.
- بين السجدتين.
- قبل التسليم.
- وبعد الانتهاء من الصلاة.

وكل هذا لتدرك أمتُه أهمية الاستغفار! ولنا في نبينا عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة.

بكى أحد السلف عندما علم أن الله تعالى قال لنبيه الكريم: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ ﴾ [الشرح: 2-3]، يقول: إذا كان هذا خطاب الله لنبيه: أي أن الله يخاطب سيدنا محمد ويقول له: وضعنا عنك وزرك.. الذي أثقل ظهرك.. ولو بقي وزرك على ظهرك لسُمع لظهرك نقيضاً ! فما بالنا نحن؟!

ولذلك كان الرسول ﷺ حريصاً على الاستغفار.. ليعلّم أمته بأن الاستغفار طريق رحمة الله .

﴿ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٤٦ ﴾ [النمل: 46].

أي: يقيناً سترحمون إن كان الاستغفار عندكم عادة.

وبذلك كلما استغفر الإنسان كلما نزلت عليه رحمة الله.

ثمرات الاستغفار

ما هي الثمرات التي سيتذوقها المستغفر ويعيشها حينما يلزم الاستغفار؟

- الاستغفار يَلُمّ شتات نفسك، ويُطمئن قلبك، وينظم حياتك، ويذيقك حلاوة الإيمان، وهذه هي الحياة الحقيقية التي يجب أن تُعاش .. وغير ذلك فليس بحياة.

- الاستغفار يُحلّق بالروح عالياً، ويزيل الثقل الجاثم على القلب من كثرة الذنوب، وهو يورث الرضا والتسليم ويورث اليقين بالله.

- الاستغفار يضعك ضمن قائمة المستغفرين الأوابين التوابين الذين يحبهم الله، فكثرة الاستغفار تجعلك من أحباب الله المقربين ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠ ﴾ [هود: 90]، يعامل المستغفرين بالرحمة والود وهل هناك نعمة أعظم من نعمة حب الله وودّه لعبده؟

- الاستغفار يجلب لك الأرزاق بكل أنواعها أموال، أولاد، علم، تقوى، صحبة صالحة، راحة بال، حسن خلق، قلبٌ سليم، فقط انوي ما تشاء باستغفارك، وسيحقق لك الله عز وجل ما تريد.

- الاستغفار سبب في شفاء الأمراض، حتى المستعصية منها، وسبب في تيسير الأمور العسيرة، وإزالة الهموم والأحزان، والكثير من التجارب أثبتت هذا الأمر فهو علاج لكل أنواع المشاكل ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴾ [هود: 52].

- الاستغفار يجعلك مستجاب الدعاء .. ويورثك التوكل على الله وتفويض الأمر كله لله .. وفيه تبييض الصحائف.. وغفران الذنوب .. وهو المطلوب الأعظم عند الصالحين.

- طلب المغفرة من الله، يورث نوراً يحرق الشهوات، ويحرق الشياطين، ويحرق العين والسحر ،ويحميك من تسلط الشياطين؛ فيصبح هذا النور درعاً واقياً لك.

- الاستغفار حل نافع قوي لمن يخاف على نفسه عيناً أو سحراً أو حسداً أو وسوسة أو يرى كوابيساً فليكثر من كان هذا حاله من الاستغفار.

- ويبقى الاستغفار مع العبد .. إلى أن يُرفع كتابه في عليين، ويُدخله الجنة من دون حساب ولا سابقة عذاب.. أيعذب الله عبداً تاب واستغفر من ذنوبه وجاءه بصحيفةٍ بيضاء؟! حاشاه سبحانه وبحمده.

- كلّما استغفر الإنسان .. كلّما أبصر غايته وهدفه وسعادته، وحلَّ كل مشاكله، ينير الله بصيرته، فيبصر مراد الله منه ويبصر حقيقة الدار الدنيا وزينتها .

- الاستغفار يرفع الدرجات، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الرجل لتُرفع درجته في الجنة، فيقول: أنى هذا ؟ فيقال: باستغفار ولدك لك" [صححه الألباني] .

فارفع درجات والديك .. وارفع درجتك بنفسك وأنت على قيد الحياة .. لا تنتظر أن يستغفر لك أحدٌ بعد موتك.

- الاستغفار يثمر تقوى وإنابة وقوة ومعونة على الاستقامة.
- الاستغفار يهيئ القلب فيطهره ويصقله ليستقبل أوامر الله بكل حب وإحسان، فإذا طهر القلب بالاستغفار؛ تبعه اللسان والجوارح والخواطر.
- الاستغفار يجنّب العبد المعاصي فالمستغفر بعد أن يتوب من ذنوبه، ويبيّض صحيفته يكون حريصاً على أن لا يهدم ما سبق؛ فيحذر من أن يملأ صحيفته بذنوب أخرى.
- استغفارك يغير قدرك وشأن الله معك.. يستغفر العبد.. فينشرح صدره فتزيد ثقته بوعود الله فيتقرب من الله أكثر فيحبه الله.
- يفتح الله عز وجل خزائن الرزق للمستغفرين ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح: 12].

وأبواب الرزق كثيرة منها : راحة البال، السكينة، الهداية، تيسير الأمور، بر الأبناء قوة الإيمان، لذة المناجاة، لذة الطاعة، التفاؤل، السعادة، والقبول بين الناس.

- بالاستغفار لا يبقى بلاء ولا دين ولا فقر ولا مرض ولا قلة حيلة بل هي حياة طيبة من جميع النواحي فرج وفرح طمأنينة وسكينة تفاؤل أمل حب لله خروج من كل ضيق وهمّ وغمّ إلى السّعة والفرحة وانشراح الصدور.
- لا يزال العبد يستغفر ويستغفر.. حتى يرى الحقائق ويرى المعارف ويرى الأشياء بوضوح.. وتفتح له أبواب العلوم النافعة والأعمال الصالحة.. يعطى نور البصيرة.. يرى بنور الله.. فلا يقول ويفعل إلا ما يرضي الله.
- تخفّ روحه .. فيقبل على العبادة بنشاط وحب وإقبال على الله في الطاعة فيسرع إليها.. كيف لا وقد ذهب عنه الملل والضيق والكسل الذي يجده البعض عند الطاعة.. وهذه ثمرة عظيمة من ثمرات الاستغفار الصادق.
- كل خير في الدنيا والآخرة تجده في الاستغفار.
- الاستغفار يأتي بالفرج وعالي الدرجات وإلا راجع قلبك.. راجع نفسك.. راجع ماضيك راجع جيبك.. راجع صحيفة عملك ربما كتبت عليك مظلمة حالت بينك وبين الفرج.. دعوة مظلوم يتألم وأنت تدعي أنك المظلوم بينما أنت الظالم وظنّك قد خانك.
- نصيحتنا لأنفسنا وللجميع.. استغفر لمن ظلمته ولمن ظلمك.. قال الإمام ابن عقيل رحمه الله: قال بعضهم: ((من استغفر لمن ظلَمهُ أمِنَ من عذاب الله)) اللهم اغفر لنا ولمن ظلمناهم ولمن ظلمونا إنك غفورٌ رحيمٌ.

الاستغفار أمن وأمان.

الحديث عن الاستغفار حديث عن الأمان.. فكما أنه لا قيمة للحياة بدون أمان، كذلك لا قيمة للحياة بدون استغفار؛ لأن الله سبحانه وعفوه ورضاه هو المصدر الوحيد للأمن والأمان لا شيء غيره قطعاً.

الاستغفار أمان من كل بلاء ونقمة استوجبتها المعاصي، ولو أن الناس تمسكوا بهذا الأمان لما رأيت بلاء على وجه الأرض، يقول عز وجلّ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ٣٣ ﴾ [الأنفال: 33]، أي : لن يعذبهم الله عز وجل عذاباً بدنياً ولا عذاباً نفسياً ولن يعذبهم بأي نوع آخر من أنواع العذاب ما داموا يستغفرون .

قال بعض الصالحين: لو نزلت صاعقة من السماء ما أصابت مستغفر، إذن أمنك وأمانك في الدنيا والآخرة هو الاستغفار، عليك به الزمه لا تفارقه أبداً ما أحياك الله.

لن تحل مشاكلنا وهمومنا إلا بالاستغفار والإقلاع عن الذنوب، لأن الذنوب هي سبب الهموم والغموم والأمراض والفقر والدين وضيق العيش والذل والهوان فلا تتركه، اجعله نفساً لك مع كل دقيقة، مع كل ثانية.

الاستغفار وحي من وحي الله

كلمات القرآن كلها وحي وروح.. ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى: 52].

ولأن الاستغفار أمرٌ من أوامر الله ومن وحي الله، ووحي الله عز وجل كله نور وهداية و روح تحيا به القلوب..

وقد وصف الله سبحانه وتعالى أمره ووحيه في الآية: أنه روح تدُبّ في قلب المؤمن فتحييه.. أي أن أوامر الله سبحانه مليئة بالرحمات والهدايات لمن التزم بها.. أوامره تحيي القلب الميت.. والاستغفار هو أمر من أوامر الله.

هذا خيرٌ فاغتنم.

المستغفرون لهم ودٌّ خاص من الله

تودَّدَ الله سبحانه لعباده المستغفرين..

الدليل :

قال الله عز وجل :﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ ﴾ [هود: 90]، رحيمٌ ودود:عامل الله سبحانه عباده المستغفرين باسمه

الرحيم واسمه الودود فلماذا ذكر هذين الاسمين بالذات في آية تتحدث عن الاستغفار والتوبة؟

أعطى الله سبحانه للمستغفرين رحمة ووداً خاصـاً، ينال بها المستغفر بالذات رحمة الله، وحبّه، وودّه.. ومن عامله الله برحمته ووده فإنه سيفوز بمعية الله وحمايته ورعايته وتوفيقه وحفظه ونصرته وتأييده.

كلّما استغفرت عبد الله كلما تودد إليك الله وكلّما نزلت عليك رحمات الله رحمات خاصة وودٌّ خاصٌ تنال به رضا الله سبحانه فتسعد في الدنيا والآخرة اللهم بلغنا.

وفي آية أخرى عن حب الله للمستغفرين قال تبارك وتعالى :

- ﴿ فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ٦١ ﴾ [هود: 61]

ما دلالة انتهاء الآية بقريب مجيب؟

نستنتج من الآية أن العبد كلّما استغفر كلّما قربه الله.. وكلمّا استغفر كلما أجاب دعائه الله عز وجل فهو المجيب لدعاء المستغفرين.. المستغفر مستجاب الدعوة.. قريب من الله حبيب إليه سبحانه.

وعود وتودد آخر..

ولا يزال ربنا يتودد ويتودد إلى المستغفرين حتى قال عز وجل :

- ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ ﴾ [نوح: 10]

مع الاستغفار ستُحاط بالنعم وستخرج من ظلمات الجهل والوهن ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

- ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ٥٢ ﴾ [هود: 52]

أمطار متتابعة فتكثر خيراتكم ويزدكم قوة إلى قوتكم بكثرة ذرياتكم وتتابع النعم عليكم بالخير والصحة والمال والولد.

أيضــًا من تودد الله لعباده المستغفرين قوله سبحانه:

- ﴿ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣ ﴾ [هود: 3].

متاعـًا حسنـًا: في الدنيا وهي الحياة الطيبة فيها، إلى أن يحين أجلكم ويُعطى كل واحد منكم أجره كاملاً وزيادة من علم وعمل ومن كل فضل عمله في الدنيا حتى مثقال الذرة من الإيمان.

لم ينجُ قوم من عذاب الله بعد معاينته إلا قوم يونس، وذلك أنهم رجعوا وتضرعوا وتابوا وجأروا إلى الله بصدق..

قوم يونس رأوا العذاب وأيقنوا أنه أمامهم وقد دنا منهم، فقذف الله في قلوبهم التوبة، فأخذوا أطفالهم ودوابهم ومواشيهم وجأروا إلى الله واستغاثوا به وتضرعوا إليه

واستكانوا، وسألوا الله أن يرفع عنهم العذاب الذي أنذرهم به نبيهم يونس، عندها رحمهم الله وكشف عنهم العذاب. ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾ [يونس: 98]، **ولنا فيهم العبرة فكل من عاش عذابًا في الدنيا مهما كان نوع هذا العذاب حسيـًا أو معنويـًا؛ فإن المخرج منه الاستغفار والتوبة والرجوع إلى الله.**

رحمة الله بالمستغفرين بالرغم من فعلهم الفواحش

فإذا صدقوا في توبتهم وإنابتهم واستغفارهم.. تقبّلهم الله وأحاطهم بلطفه وعطفه وحبه وعفوه ومغفرته.

- ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [آل عمران: 135-136].

فكان الشرط : "ولم يصروا على ما فعلوا".

- ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء: 110].

لماذا غفر الله لهم بالرغم من ارتكابهم الفواحش؟

لأن استغفارهم صاحبه ندمُ تائبٍ مقلعٍ صادقٍ غير مصر على المعصية.

- ﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣ ﴾ [الزمر: 53].

إذا كان الغفارُ يغفرُ للمسرفين أصحاب الكبائر.. فكيف بأصحاب الصغائر؟

ويبقى الشرط قائماً وهو: عدم الإصرار على الذنب والإقلاع عن كل الزّلات والشهوات والشبهات والمعاصي والخطايا والآثام فماذا تنتظر بعد كل هذا ؟!

المستغفرون هم الذين لا ييأسون..

فكلما وقعوا في الذنب قاموا واستغفروا.. ثم أذنبوا ثم قاموا.. وجاهدوا وحاسبوا أنفسهم ثم استغفروا.. وهذه حالهم .. إلى أن أصبحوا من الأوابين كثيري الرجعة إلى الله.. فعند أدنى ذنب تراهم يلجؤون إلى لله يبكون ويتضرعون لله عز وجل ويطلبون العفو والمغفرة كأنهم فعلوا كبيرة من الكبائر.

وما هي إلا قلوبهم التي تعلقت بالله، قلوب تخاف المعاصي وتخاف الابتعاد عن باب الله، وهذه صفة المقربين، أحباب الله، أولياء الله، وما كانت بداية هؤلاء الصالحين إلا كثرة التوبة والاستغفار .

الاستغفار رسالة الأنبياء لأقوامهم

ودعوتهم هم لأنفسهم من سيدنا آدم.. إلى نوح.. هود.. إلى رسول الله ﷺ.

كل الأنبياء دعوا أقوامهم إلى التوبة والاستغفار وهم أنفسهم كانوا يستغفرون.

استغفر سيدنا آدم فقال: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف: 23].

واستغفر إبراهيم عليه السلام فقال : ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ [إبراهيم: 41].

وقال الله سبحانه وتعالى مخاطباً سيدنا محمد عليه السلام آمراً إياه بالاستغفار:

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: 19] .

وحتى وهو على فراش الموت عليه السلام لم يترك الاستغفار..

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "سَمِعْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وهو مُسْتَنِدٌ إلَيَّ يقولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي وارْحَمْنِي وأَلْحِقْنِي بالرَّفِيقِ الأعلى" [رواه البخاري] .

الذنوب تدفن القلوب

احذر من ذنوبك وراقب تصرفاتك: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ [القيامة: 14].

احذر من خوض في عرضِ أخيك المسلم..

احذر من التجرؤ على مال ليس لك..

أو الافتراء على مظلوم..

احذر مظالم البشر..

أما الاستمرار في التفلت والزّلات كما في بعض البيوت حيث يكثر اللعن والشتم والسبّ.. وسوء الخلق.. وأذى الناس.. وقطيعة الأرحام.. فكل هذا لن يأتِ إلا بالويلات والهموم والأحزان وضيق العيش هذه هي عاقبة المعاصي والذنوب والخطايا .

ومما يزيد الخوف والخشية من ارتكاب المعاصي قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النبأ: 29].

كل صغيرة وكبيرة أُحصيت على العباد حتى وصلت الدقة في المحاسبة إلى وزن مثقال ذرة الغبار من خير أو شر..

إطلاق البصر.. تتبع عورات المسلمين وذمهم وكشف عيوبهم وأسرارهم.. من المهلكات .

قال عليه الصلاة والسلام: "يبصر أحدكم القذى في عين أخيه وينسى الجذع في عينه" [صححه الألباني] . حريص على متابعة عيوب من حوله وينسى عيوبه.

ما الحل لمن هو غارق في الزلات والمعاصي؟

الحل أن تلزم الاستغفار وتتوب توبة الأبرار وتُبصر بعدها عيوبك وتنشغل بإصلاحها لتنقذ نفسك وتركب سفينة النجاة، أين هي مصلحتك بانشغالك بعيوب غيرك؟ إنك تجلب لنفسك عذاب الله.

الحل هو استغفار الله ليلاً ونهارًا..

استغفر من الغفلة.. من المعاصي ..بل استغفر من كل طاعة أصابك إعجابٌ بنفسك فيها.. من كل نعمة وعافية لم تُشكر.

ثم ارفع استغفارك بالصلاة والسلام على رسول الله.

الحقيقة أن بعد المعاصي.. عواقب مخيفة وشرور ونقم وزوال نعمٍ وخواء للقلوب..

سيدنا آدم وهو أبو البشر عصى الله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [طه: 121].

النتيجة: أصبح عاريـًا بعد الستر، وأخرجه الله من دار النعيم إلى دار التعب والشقاء.

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأنعام: 122].

الظلمات: المعاصي والذنوب.

النور: طاعة الله والتقرب منه.

شتّان شتّان بين من عاش في نور طاعة الله، ومن عاش في ظلمات المعاصي والشهوات.

الذنوب من أعظم أسباب هلاك الأمم

﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [القصص: 59].

﴿ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [العنكبوت: 31].

من المسؤول عن تعميم الهلاك على أمة بأكملها..؟

إنها سقطات العباد.. تفلت الشباب والبنات وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

أغاني وحفلات وانحراف.. الاحتشام أصبح عزيز..

الصلاة إن وجدت فهي في غير وقتها.. خالية من الخشوع وتعظيم الله، إلا من هدى الله..

وسائل التواصل ميسّرة للكبير والصغير، انفتاح، إباحية، مسلسلات، طرب، وآخر المطاف يقولون:

نحن نفعل كما يفعل الجميع .. نمشي مع القطيع أينما مشى!

قال ابن مسعود رضي الله عنه: لا يكونَنّ أحدكم إمّعة قالوا: وما الإمّعة؟ قال: يجري مع كل ريح .

وقال رضي الله عنه: ليوطئنّ المرء نفسه على أنه إن كفر من في الأرض جميعاً لم يكفر ولا يكونَنّ أحدكم إمّعة قيل: وما الإمّعة؟ قال: الذي يقول: أنا مع الناس، إنه لا أُسوة في الشر.

ولك أن تعرف أن الله شددّ على بني اسرائيل حينما شددّوا هم على أنفسهم؛ فقد حرم الله عز وجل بني اسرائيل من التوبة والاستغفار عن الذنوب إلا بكفارة !

حيث كان المذنب منهم تصبح عقوبته مكتوبة على باب داره وفي رواية : كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة داره: اجدع أنفك .. اقطع أذنك .. افعل كذا! [تفسير ابن كثير] .

بالمقابل ..

عليك أن تعلم أن التوبة والاستغفار هو رحمة الله في الأرض، فقد يسر الله على المذنب أمر توبته، ورسم له طريق العودة قبل فوات الأوان.

حين أنزل الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران: 135].

يُروى أن إبليس بكى حين نزلت هذه الآية !

إذن فالاستغفار رحمة من رحمات الله.. أنعم بها على الأمة المحمّدية ليخرجهم من كل ضيق، ومن كل هم مهما كان، وليرفع به درجاتهم، وتعظم ثمرات الاستغفار ونتائجه كلما كان مقرونـًا (بالتوبة والاستقامة)، والتوبة هي الندم كما ذُكر سابقـًا وهذا لا بد منه وجوبـًا.

- وبهذا.. ما عليك إلا بلزوم الاستغفار بالليل والنهار.. بتوبة وندم كأنك تقف أمام القاضي محكوم عليك بالإعدام، وقد أُعطيت الفرصة الأخيرة للتوسل والرجاء لإنقاذ نفسك.

- ثم استقم على أمر الله واطلب من الله الإعانة والهداية والتوفيق للصواب (اللهم اهدنا وسددنا) .

اللهم اجعل استغفارنا هذا وهنـًا ورعبـًا تزرعه في قلوب الظالمين أعداء الدين واجعله رحمةً ورضـًا ورحمة منك على أمة الحبيب المصطفى محمد ﷺ .

نقول وبكل يقين بسنة الله عز وجل الثابتة في هذه البشرية: أن مشكّلة المسلمين في تسلط أعدائهم عليهم.. هي مشكلة بينهم وبين الله جل وعلا وليست بينهم وبين الأعداء !

فالسبب هو ذنوبنا ومعاصينا ثم قلة تعظيم الله عز وجل..

ذنوبنا هي التي استوجبت تطبيق قانون الله فينا (وهو نزول عذاب الله بأهل المعاصي) .

ذنبي وذنبك هو سبب تسلط الأعداء على مستضعفينا.. ذنبي وذنبك سبب ذل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ! قبل أن تذنب تذكر الأطفال والنساء والشيوخ المعذبين في كل مكان.. كل ذنب من أحدنا سيزيد تسلط الظالمين عليهم.. وكل توبة من أحدنا سيرفع الله عز وجل بها جزءاً من الظلم عن أحد المستضعفين.

ألم يأنِ لنا أن نتوب كي يرحمنا الله؟!

كل الذي عليك أن تفعله أخي / أختي ليرجع الزمان يعيد نفسه بأن ترجع هيبة المسلمين كما كانت في زمن الصحابة الكرام؛ فتعود الأمم تطلب الحماية منهم هو توبة نصوح ولزوم الاستغفار من الآن .

اجعل النية من استغفارك أن يغير الله حال الأمة .. من الذل إلى الرفعة والنصرة والعزة والتمكين ووحدة الصف، وتأكد يقيناً أن الله سيكفيك ما أهمك، كن صاحب همة، احمل همّ هذا الدين واجعل أولوية حياتك أن يرفع الله العقاب عن أمة محمد عليه الصلاة والسلام بتوبتك واستغفارك.

ليس بأمانيكم

﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾
[النساء: 123].

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت آية: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النساء: 123]، بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً فقال رسول الله ﷺ: "قاربوا وسددوا ففي كل ما يُصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها" [صحيح مسلم] .

وقال أبو بكر : يا رسول الله ! وأينا لم يعمل سوءاً؟ فقال عليه السلام :"يا أبا بكر ألست تنصب ألست تحزن ألست تصيبك اللأواء؟ فذلك ما تجزون به" [صححه الألباني] .

نفهم من الحديث أن التعب والألم والشدة، هي كفارة لسيئات فعلناها سابقًا، فجزينا بها في الدنيا بالمرض والحزن والشدة تكفيراً لها.

في غزوة أحد..

أخبرنا الله عز وجل بأن ما حدث في تلك الغزوة من انهزام المسلمين.. ما كان ليحدث لولا مخالفة الرماة أمر رسول الله ﷺ، فقال سبحانه:﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم

مُّصِيبَةٌ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [آل عمران: 165].

- "قُل هو من عند أنفسكم":

في غزوة أحد حينما أوصى الرسول عليه الصلاة والسلام الرماة بأن يبقوا على الجبل ليحموا ظهور المسلمين.. وأمرهم عليه السلام بأن لا يتركوا أماكنهم على الجبل لأي سبب كان.. سواء انتصر المسلمون أم خسروا المعركة..

فخالف الرماة أمر الرسول عليه السلام، وتركوا أماكنهم ونزلوا عن الجبل، طمعًا بالغنائم حينما ظنوا أن المعركة انتهت و أن المسلمين انتصروا..

فباغتهم الكفار في تلك اللحظة وانتصروا عليهم !

وخسر المسلمون معركة أحد!

تفاجأ المسلمون مما أصابهم..

وقالوا: من أين أصابنا هذا ونحن مسلمون وهم مشركون؟ وفينا نبي الله عليه الصلاة والسلام يأتيه الوحي من السماء ؟ وعدونا أهل كفر بالله وشرك؟ فنحن أهل حق وهم أهل باطل!!

فنزلت الآية كالصاعقة:

﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [آل عمران: 165].

أي: قل يا محمد للمؤمنين من أصحابك : هذا الأمر الذي أصابكم هو من عند أنفسكم.. بخلافكم أمري وترككم طاعتي.. لا من عند غيركم ولا من قِبَل أحد سواكم.. فلا تلومنَّ إلا أنفسكم !

فالجواب واحد في كل زمان ومكان.. ما يصيبك سببه ذنبك.

البلاء اصطفاء وارتقاء أم تأديب وعقاب؟

كيف أفهم الحكمة من الابتلاءات والمصائب، أهي عقاب وتأديب أم اصطفاء وارتقاء؟

يقول الدكتور محمد راتب النابلسي في أنواع الابتلاءات: هناك ابتلاء رفع أو دفع أو ردع أو قصم أو كشف حقائق النبوة.

1..مصائب رفع:

تأتي لترفع العبد الدرجات العلا من الجنة، وذلك أن الله أحبه لكن أعماله لم تبلغه هذه المنزلة الرفيعة من الجنة، فيبعث له الله مصيبة ترفع درجته.

2..مصائب دفع :

يكون العبد غافلاً عن الله لاهياً في متع الحياة، فتأتي المصيبة فتدفعه على باب الله، فتراه مصلياً باكياً مستغفراً منيباً تائباً.

(وهذا أكثر ما عليه المسلمون اليوم.. مصائب التأديب للرجوع إلى الله تعالى، سواء أفهموا مغزى الرسالة أم جهلوا!) .

3.. مصائب ردع:

وتكون لأهل الكبائر وأهل الظلم؛ تأتيهم المصائب لتردعهم عن الظلم والفواحش والكبائر من الذنوب ليعودوا إلى الله.

(وكم من هذه الأمة من هو واقع في الكبائر والمظالم.. فتأتي هذه المصائب لتردعه وتعيده على باب الله سواء أعلم مغزى الرسالة أم جهل!) .

وهذه الثلاث الأولى مكفرات للذنوب مطهرات للعيوب.

4.. مصائب قصم:

هي للكفرة الطغاة يمهلهم الله ثم يقصمهم قصماً فيه هلاكهم .. كما حدث مع فرعون وقارون.

5.. مصائب كشف حقائق النبوة:

هي للأنبياء، ليكونوا لنا قدوة نتأسى بهم في الصبر والرضا والاحتساب، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام90] .

ذلك أن الله عز وجل يعلم العقاب المناسب الذي يرد كل إنسان على أعتاب بابه!!

إن لم تأت إلى الله طائعاً أتى الله بك بقدرته وحكمته راكضاً..

وكل عاصٍ سيُبتلى.. ولكن الفطن من فهم رسالة الله إليه.

- بعض الناس يأخذ الله منهم نعماً كبيرة تصيبهم مصائب وبلايا عظيمة، ولكنهم لا يدركون أنها بسبب ذنوبهم وأنها عقوبة لهم وتأديب، رانٌ يغطي قلوبهم .

لم يعقلوا ولم يدركوا أن هناك رسالة يريد الله أن يوصلها لهم بهذا البلاء ! رسالة مغزاها أن ارجع عبد الله إلى الله .. وتب وأقلع عن الذنوب صغيرها وكبيرها، ورد الحقوق إلى أصحابها إن كانت هناك حقوق عليك لخلق الله، ثم اتق الله واستقم .

هؤلاء الذين لم يروا الحقيقة الواضحة، ولم يدركوا حقيقة أن ما هم فيه من الهموم سببه المعاصي والذنوب؛ فكانت ردة فعلهم عدم التقبل والسخط والتشتت والحيرة والغضب من هذا البلاء، لم يدركوا أن ابتلاءهم هذا نزل بهم نتيجة معاصي وتفلتات وسقطات عديدة وكثيرة لم ينتبهوا لها، أو تناسوها أو استهانوا بها فكانت العاقبة عليهم وخيمة!!

- ومنهم إذا أصابهم البلاء وقفوا على أعتاب الله وسألوه المغفرة وطلبوا الهداية والسداد منه سبحانه، وطلبوا منه أن يَغفر لهم ذنوبهم التي كانت سبباً في هذا البلاء.

هؤلاء يُصبرهم الله ويُرضيهم؛ فتجدهم صابرين مطمئنين في عز بلائهم، هؤلاء الذين كان لهم رصيدٌ سابق عند الله في مرضاته وطاعته وذكره ومناجاته، كان لهم حال مع الله، خلوة مع الله، لذلك صبروا واحتسبوا واعترفوا وأقرّوا بالعيوب و الذنوب، فطهرهم الله من العيوب وغفر لهم الذنوب.

هؤلاء كان ابتلاءهم اصطفاء من الله؛ ليرفعهم في الدرجات ويغفر لهم الزلات.. ويردهم أكثر وأكثر إلى أعتابه سبحانه.

أما من سخط فقد كان ابتلاؤه عقوبة.. وفي حال لم يرتدع فإن هنالك قصماً قريباً!

وترى الفرق واضحاً في ردة فعل كل منهما على البلاء.

وبهذا يتضح السبب من البلاء:

- فإن رجع العبد إلى الله عند ابتلاءه.. وتقرب إليه أكثر وداوم على الاستقامة؛ فإن ابتلائه اصطفاء من الله له لأنه يحبه.
- وإن ازداد العبد بعداً عن الله بعد البلاء وزاد تسخطاً على أقدار الله، ومن ثم لجأ إلى المعاصي بحجة التخفيف من همه ونسيان ألمه، فإن حقيقة ابتلائه هذا عذاب من الله وردع، وإن لم يُتبعه العبد بتوبة نصوح واستغفار فإن هذا الردع سيبقى في ازدياد إلى أن يتوب العبد أو يقصمه الله والعياذ بالله .

أما أنت..

فإن كان لك رصيد مسبق عند الله في طاعته ومناجاته والخلوة به .. فتأكد عند أي ابتلاء أو أي عرَض سيصيبك؛ فإن الله سيُصبرك وسيُرضيك .. ولن تكون ساخطاً، بل ستكون راضياً مطمئناً بأن الله لن يضيعك، فمن رضي فله الرّضا ومن سخط فله السخط.

وإن لم يكن لك رصيد سابق عند الله.. فسارع إلى توبة نصوح ولزوم استغفار.. واصنع لك حالاً مع الله بكثرة دعائه ومناجاته والتذلل له وخلوة تعتادها بين يديه.

كيف أصنع لي حالاً مع الله وكيف أستقيم على أمر الله بعد أن تُبت ولزمت الاستغفار؟؟

اقرن استغفارك مع (التقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) .

- **وهذا هو مثلث النجاة:**

الاستغفار+ التقوى+ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أولاً: الاستغفار

وقد تحدثنا عنه بما يكفي في هذا الكتاب.

ثانياً: التقوى

ما هي التقوى ؟ وما علاقتها بالاستغفار؟

- قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: قد قيل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبيّ بن كعب عن التقوى فقال له :

أما سلكت طريقاً ذا شوك؟ قال: بلى.. قال: فما عملت؟

قال: شمرت واجتهدت.. قال: فذلك التقوى.

- عن علي بن زيد قال خطبَنا عمر بن عبد العزيز بخناصرة فقال: أرى أفضل العبادة اجتناب المحارم وأداء الفرائض.

- كيف لا وقد قال تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٧ ﴾ [البقرة197] .

فالتقوى هي خير الزاد وهي أن تجعل بينك وبين المعاصي حاجزاً.. وأن يجدك الله حيث أمرك.. ويفتقدك حيث نهاك.

وهي بكل اختصار..

القيام بما أمر الله واجتناب ما نهى عنه.

أي: أينما وجدت ذنبـاً أو معصية أو إثمـاً : فانسحب وابتعد فوراً.. فر فرارك من الأسد!

وأينما وجدت خيراً.. طاعةً.. ثوابـاً.. فقل سمعـاً وطاعة وشمّر واجتهد وبادر.

- قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ ﴾ [يونس: 62-63].

حين ينتشر الخوف بين الناس، يكون المتقون في أمن وأمان..

حين يعم الحزن، يكون المتقون فرحين مطمئنين ..

سمّاهم الله أولياءه وبشرهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ..

بشرهم بأنهم لن يخافوا ولن يحزنوا في حياتهم الدنيا، ولا عند سكرات الموت، ولا في القبر ولا يوم الفزع الأكبر..

من هم !؟ إنهم الذين آمنوا (صدّقوا)، وكانوا يتقون..

فعلوا الأوامر واجتنبوا النواهي..

هذا هو سرّهم..

سِر على أثرهم..

ابتعد عن المحرمات صغيرها وكبيرها، تدبر القرآن ولاحظ أوامر الله عز وجل ونواهيه في كل صفحة، وائتَمِر بها وطبقها، لتنال أجر المتّقين.

عندما تقرأ القرآن تَتبَّع هذه الألفاظ: "المتقين.. اتقوا.. يتقون" وانظر إلى صفاتهم وأفعالهم وماذا أعد لهم الله عز وجلّ..

الاستغفار لا ينفك عن التقوى.. فبعد أن يتوب الإنسان من ذنوبه.. ولكي يحافظ على صحيفته بيضاء فإنه لا بد أن يلزم التقوى إلى أن يلقى الله.. ففيها النجاة.

ثالثًا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بعد أن تتوب توبةً نصوحةً وتلزم الاستغفار طوال الوقت..

ثم تنوي وتعزم على التقوى والاستقامة ما حييت وتسير في هذا الطريق..

بقي أن تُلزم نفسك بأمر واحد يحبه الله عز وجل ورتّب العقاب على تاركه، إنه: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: 110].

صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي التي جعلت أمة محمد خير أمة.. الآمرين بالمعروف والنّاهين عن المنكر لهم الخيرية بين البشر.

- ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ ﴾

[المائدة: 78-79] .

لُعنوا لأنهم قصروا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!

كانوا يرون المنكر يُفعل أمام أعينهم ولا ينهون عن فعله، فكان هذا سبباً في نزول لعنة الله عليهم.

حتى التقصير بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يستوجب العقاب وهو بحاجة إلى توبة واستغفار!

قال عليه الصلاة و السلام:

- "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر أو ليوشكنّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم" [صحيح الترمذي].

استنبط العلماء من الحديث أنه لن تكون هناك استجابة لدعاء العبد في حال ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر! وما تركت أمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا وقد حرموا أنفسهم استجابة الدعاء ولذلك تسمعهم يقولون: ندعو ولا يستجاب لنا!

- قال نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام : "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" [صحيح مسلم] .
- كيف أتصرف إذا رأيت منكراً أمامي؟

تأمر بالمعروف وتنهَ عن المنكر رحمة بك وبهم..

لا تسمح بأن يُعصى الله أمامك.. عليك أن تُذّكر.. ثم ادعُ لهم بالمغفرة..

وأما إذا بقي المنكر على حاله فانسحب من ذاك المكان.. لا تبقَ في مكان يُعصى فيه الله عز وجل.

وتكون الدعوة بالتصريح والتلميح دون ذكر أسماء وبأسلوبٍ ليّن، فقد كان النبي عليه الصلاة والسلام إذا بلغه الشيء لم يقل: ما بال فلان يقول.. ولكن يقول: "ما بال أقوام يقولون كذا وكذا" [صحيح أبي داوود] .

وبذلك لا يقع في الإثم أو الغيبة.

أولى الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أهل بيتك.. قال عليه السلام: "ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة" [صحيح البخاري] .

وصلاح ولدك من مصلحتك..

فالولد الصالح نعمة في الدنيا ببره لوالديه.. ونعمة في الآخرة فهو يرفع أبويه إلى درجته في الجنة إن كانت أعلى من درجتهما.

وهو نعمة لهم بعد موتهم.. فالولد الصالح يرفع أبويه وهما في قبريهما بالاستغفار لهم.

قال رسول الله ﷺ: "إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول: أنى هذا؟ فيقال باستغفار ولدك لك" [صحيح ابن ماجه] .

الولد الصالح.. الأب الصالح.. الزوج الصالح والزوجة الصالحة.. يرفعون معهم كل ذريّاتهم وآبائهم وأزواجهم إلى منازلهم العليا في الجنة، فالأعلى منزلةً يرفع الأدنى إلى درجته، وهذا من فضل الله عز وجل ومنّته وكرمه ورحمته بالعباد، حتى تقر أعينهم بعائلاتهم وأهليهم في الجنة.

أما الولد الفاسد فهو نقمة على أهله وعلى المجتمع.

ومن أهم ما ننقذ به أنفسنا بالإضافة لما سبق.. الإلحاح بالدعاء وطلب الهداية والمغفرة من الله لأنفسنا ولذرياتنا في زمن كثرت فيه الفتن.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل فرد مِنا في زمن انتشرت فيه المجاهرة بالمعاصي.

المجاهرة بالمعصية والمعاصي كلها ظلم لنفسك ولأهل بيتك وللأمة بأكملها.

أكبر مصيبة أصابت الناس: عدم الخشية من الله، وعدم تعظيم حدوده، والجرأة على الله بالمعاصي علانية !

والسبب: كثرة الذنوب والفتن التي شربتها القلوب وألِفتها واعتادت عليها..والأمن الزائف من عذاب الله.. وقلة الخوف من الله.

خطورة المجاهرة بالمعصية

1. استخفاف بحق الله وجرأة على دين الله.

2. تهوين المعصية وتزيينها في نفوس الناس، وتقليد بعضهم بعضاً في المعصية.

3. وهذا يعد تشجيعاً لمن لم يكن متشجعاً.. وتجرؤ لمن لم يكن متجرئاً.. ودفعة لمن كان متردداً.

4. المجاهرة بالمعصية سبب لتفشّي الخبث والمعاصي و سبب لهلاك الناس.. ضررها يتعدى للغير.

قروض ربوية، مخدرات، أرجيلة، كشف عورات، تبرج، تزيين الاختلاط، سب الذات الإلهية، وسب الدين، هذه المعاصي مهلكة بذاتها فكيف بالمجاهرة بها..!

كل من فعل معصية أمام الناس.. يُعد مجاهراً بالمعصية مروّجا لها، سواء كبرت المعصية أم صغرت.

وفي النهاية، يحمل المجاهر أوزاره وأوزار كل من قلده واتّبعه.

قال عمر بن عبد العزيز: إذا عُمل المنكر جهاراً، استحقوا العقوبة كلهم حتى الذي لم يعمل لأنه لم ينكره !

إذن: المُجاهر و الساكت عن المنكر.. كلاهما آثم و محاسب.

- ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود: 117].

لا يهلك الله المصلحين الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر.. بل يهلك من هم بعكسهم: المجاهرين المتجرئين على الله بالمعصية علانية !

التوبة والاستغفار وإنكار المنكر هو المخرج.

- قال عليه الصلاة والسلام: "كل أمتي معافى إلا المجاهرون" [أخرجه البخاري]

المجاهر يسوق ويروج المعصية للآخرين، فيأخذ وزر كل من قلده فيصبح بين ذنبين، ذنبه الذي ارتكبه وذنوبهم بما اتّبعوه .

- ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: 110].

كانت أمتنا من خير الأمم وأعزّها وأقواها.. عندما التزمت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. ولكن.. بدل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحولت الأمة اليوم إلى أمة تشجع المنكرات وتألفها..

ولما تركنا هذه الصفة ما عُدنا خير أمة.. انتكسنا واستُضعفنا وتسلط الكفرة علينا وتجرؤا على مقدساتنا وصار لهم ألف سبيل علينا .

ربنا الله ..

الرحمن، الرحيم، السلام، المؤمن، الحفيظ، المعطي، الحنان، المنان، الحيي، الكريم، الحليم..

أيُنزل ربٌّ رحيمٌ لطيفٌ كريمٌ عقوبته في عباده بدون سبب..؟ حاشاه سبحانه.

إذن.. ما الذي فعلوه حتى انتشرت بينهم زلازلٌ وفيضانات.. حروب وقتل وظلم.. أمراض ونوازل وهم وغم وحزن وقلق وخوف.

- ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: 41] .

إذا ظهر السوء في البلاد أنزل الله عز وجل بأسه بأهل الأرض.. وإن كان فيهم صالحون فإنه يصيبهم ما أصاب الناس ثم يرجعون إلى رحمة الله.

الزلازل الفيضانات.. كل ما يعتقده الناس ظواهر طبيعية تصيب الأمم.. هو في الواقع تأديب وعذاب.

- ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [الأعراف: 165].

كُتبت النجاة فقط للمصلحين، الذين ينهون عن السوء وهم أهل التقوى الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر .

مسألة إنكار المنكر مأمور بها كل مسلم، ومن اتّصف بها كتب الله له الرحمة والنجاة، وهناك فرق بين عبد صالح في نفسه، وعبدٌ مُصلِح يصلح من هم حوله.

- ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: 71].

"أولئك سيرحمهم الله": سيرحمهم في حاضرهم في الحال، وسيرحمهم في المستقبل، وسيرحمهم عند سكرات الموت، وفي القبر، وعند الوقوف بين يدي الله حتى دخولهم الجنة.. رحمات الله ترافقهم فلا تُنزع منهم أبداً.

أما الكفرة وأهل المعاصي فلسان حالهم يقول :

- ﴿ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ٥٦ ﴾ [الزمر: 56].
- ﴿ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨ ﴾ [الزمر: 58].

فارجع إلى ربك وجدد العهد مع الله قبل الحسرة والندم، مجاهرتك بالعصية تستوجب التوبة والاستغفار.

تقصيرنا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يستوجب الاستغفار..

التقصير في عبادة الله تستوجب الاستغفار..

ذنوب الخلوات والمعاصي تستوجب الاستغفار..

قال نبينا عليه الصلاة والسلام :" أوصيك أن تستحي من الله عز وجل كما تستحي رجلاً من صالحي قومك" [السلسلة الصحيحة] .

- التوبة والاستغفار
- والتقوى
- وإنكار المنكر والأمر بالمعروف .. هو مثلث النجاة وهو الملجأ والأمن والأمان وسط هذه التقلبات وهذه الفتن.

ومضات

- استغفارك واستقامتك وأمرك بالمعروف مع النهي عن المنكر .. سيكون لها وزن ثقيل يوم القيامة.. ومن ثم ليس بعدها إلا النجاة بإذن الله في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة.
- هنيئا لمن كُتب في صحيفته استغفارًا كثيراً وتوبة وندمـًا بعد كل خطيئة.
- الاستغفار.. جبال من الحسنات..

لا بد لك من فائض من الحسنات ليكون لك حظٌ عند الله..

لا بد من ذكرٍ كثيرٍ لله ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب: 35].

لا بد من خلوة لك مع الله.. تُكثر فيها ذكر الله.. تناجي الله.. تتذلل لله.. تعتذر إلى الله.

- الاستغفار رحمة..

كم تريد من الرحمات؟ على قدر استغفارك تنال من الرحمات.. ما عليك إلا أن تستعمل لسانك بكثرة الاستغفار..

تريد آلاف الرحمات.. هات آلاف من الاستغفار.

المجاهدة والمحاسبة

نحن في زمان أصبحت الكبائر فيه صغائر لا تُرى.. وأصبح المنكر معروفًا والمعروف منكراً!

عن أنس بن مالك قال : " إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشَّعر إن كنا لنعدها على عهد النبي ﷺ من الموبقات" [صحيح البخاري] . الموبقات: المهلكات.

مع أُلفة المعصية وغُربة الطاعة فإن أكثر شيء نحن مضطرون إليه الآن هو مراقبة النفس والتوبة المتجددة ولزوم الاستغفار.

إذا أردت أن تصل إلى أعلى الدرجات عند الله، فعليك بـــ :

1. المحاسبة:

لا تترك زلاتك وسقطاتك مهما صغرت أو عظمت، تمُر دون محاسبة إذا زللت اليوم فسارع إلى الله..

يا رب زللت فسامحني .. يا رب أذنبت ذنبًا فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.. يا رب سأجاهد نفسي أن لا أقع في هذا الذنب مرة أخرى.

وهكذا يحاسب المرء نفسه على كل سقطاته وأخطاءه.

2. المجاهدة:

وتكون بعد المحاسبة، وتكون بأن تفعل كل ما في وسعك لكي لا تقع في الذنب مرة أخرى في المستقبل.

وتستعين بالله: يا رب أعني على أن أطيعك فلا أعصيك، وأن أشكرك فلا أكفرك وأن أذكرك فلا أنساك.

وهذه المحاسبة المستمرة مع المجاهدة .. هي التي ستوصلك لأعلى الدرجات عند الله عز وجل.

لا تيأس من ذنوبك

ليس أحد معصوم عن المعاصي سوى الأنبياء.. أما البشر الخطّائون.. فإن الله يحب منهم التوابين الذين يسعون في تزكية أنفسهم وتطهير قلوبهم وإصلاحها..

الذين يجاهدون أنفسهم للتخلص من عيوبهم.. للتخلص من حدة طباعهم وللتخلص من معاصيهم ! يجاهدون أنفسهم ليُمسكوا ألسنتهم عن اللغو والباطل وجوارحهم عن الحرام.

ولا يكون هذا الإصلاح بين يوم وليلة.. بل يكون بالتدريج مرة بعد مرة بكثرة توبته واستغفاره وإصلاحه لما مضى من خطايا ما أمكن، وبعدها يجاهد نفسه على لزوم الاستقامة والتقوى والمداومة عليها بالبعد عن الذنوب والمعاصي والإكثار من الطاعات، الفرائض منها ثم النوافل.. حتى تأتي عليه فترة من الفترات وقد أصبح قلبه قلباً تقياً نقياً أبيض كالصفا لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض.. همّه الوحيد كيف يرضي الله تعالى.. عندها يفوز بمحبة الله.

- وفي حديث أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ، فَيَغْفِرُ لهمْ." [رواه مسلم] .

قوم يذنبون فينكسرون، يتذللون، يعتذرون، يعاهدون الله على عدم العودة فيقلعون عن المعصية فوراً، فيتقبلهم الله فيصبحون من أحباب الله.

- وقال عليه الصلاة والسلام : "كلُّكُم خطَّاءون وخيرُ الخطَّائينَ التَّوَّابونَ". [صححه الألباني] .

- يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور: 31].

فعلّق سبحانه وتعالى الفلاح على التوبة.. فمن تاب فقد أفلح يقينـًا.

قال ابن باز:

التوبة تجبّ ما قبلها وتمحوه والحمد لله.

والتوبة تعني ندم القلب على المعصية، ويصحبها الاستغفار باللسان وتصدقها الجوارح بالإقلاع عن المعاصي وهذا يوضح أهمية عمل القلب والجوارح وأن الاستغفار باللسان وحده لا يكفي.

الاستغفار والعرض على الله

تخيل ما هو موقفك عندما تذهب لعرض صحيفتك على الله، تقف أمامه وحدك، أنت وهو وليس بينكما ترجمان، فيقول لك: افتح كتابك، فتُمسك كتابك أمام الله عز وجل خائفاً مما فعلت في دنياك من سيئات وآثام، تفتحه.. فلا تجد فيه إلا الحسنات !

مُحيت كل سيئاتك، فلا تجد إلا الطاعات والباقيات الصالحات.. !

تنظر إلى صحيفة بيضاء من كثرة الاستغفار.. ولا تجد إلا جبالاً من الحسنات والطاعات:

مجالس ذكر، حسن خلق، محاسبة مستمرة للنفس، اعتزال لمجالس اللغو، جبر للخواطر، قضاء حاجات الناس، خلوات مع الله، قرآن، مجاهدة نفس.

كنت قد جاهدت نفسك على هذا كله استعداداً لهذا اللقاء العظيم.. !

فأصبح لقاؤك مع الله لقاء محبة .. ورضا .. ويهنئك الله عز وجل بقوله تعالى:

﴿ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤ ﴾ [الحاقة: 24].

ما هي الأيام الخالية؟

إنها هذه الأيام التي بين يديك !.. وكل يحصد ما زرع !

دقة الله في الحساب

اجلس في خلوة مع نفسك وتذكر مدى تقصيرك.. من يوم جرى عليك القلم إلى هذا اليوم، تذكر تقصيرك في ذكر الله.. تذكر مدى تقصيرك في شكر نعمه سبحانه.. فأنت أينما نظرت وقع نظرك على نعمة.

تذكر مجالس الغيبة والنميمة.. تذكر الكلام الجارح الذي قذفت به كالسهم على المسلمين..

تذكر كم كسرت من خاطر، وكم كذبت من كذبة، وكم استهزأت واحتقرت وافتريت وهمزت ولمزت إخوانك المسلمين!

كم مرة غششت وخدعت، كم من حق سلبت ونهبت، ومعصية سهّلتها وهونتها فحملت أوزاراً مع أوزارك، تذكر نظرات الحرام والاستهانة بنشر المعاصي بين المسلمين.

تذكر رفع صوتك في حضور والديك، تذكر تقطيعك في الصلاة وسهوك فيها، غفلتك، عصيانك لأوامر الله في القرآن، مجاهرتك بالمعصية.

مال الحرام، الربا، مصادر المال المشكوك فيها، الحقوق المادية التي أخذتها من أحد عمداً أو بالحياء.

كل هذا الآن موجود في صحيفتك.. وعند الله دقة بالغة في الحساب.. بحيث لن يمر عليك موقف إلا وسيُنظر فيه ! وستُسأل عنه.. لن تمر كلمة أو نظرة إلا ستكون حاضرة في صحيفتك.. إن الله لا ينسى .

فسارع من الآن و قِف مع نفسك وقفة محاسبة يتبعها دوام تقوى واستغفار حتى تلقى الله.

وتذكر الفرصة الذهبية: "التوبة تجب ما قبلها".

إلى من أثقلت الهموم صدورهم

ما علاقة الاستغفار بخفة الروح وزوال الثقل عن النفس؟

تخرج كلمة الاستغفار من اللسان ومن القلب، فتغسل الذنوب وتغسل آثارها.. يشعر المرء بعدها بخفة وراحة وسكينة.. لأن الذنوب تثقل الصدر فإذا استغفر العبد بصدق أحس بخفة.. إذا شعر بها فليبشر..

ابن ادم: جسد وروح..

الجسد من الأرض والروح من السماء، ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحجر: 29].

فإذا أُثقل العبد بالذنوب.. هبطت الروح وثقلت مع الجسد الأرضي.. بدل أن تحلق إلى السماء.. إلى العالم الذي خلقت منه.. فإذا بالنفس من كثرة الذنوب تهبط وتهوي في مستنقع الخوف و الهم والحزن والفقر والأمراض النفسية والبدنية .

فإذا استغفر العبد بصدق.. خفّت الروح ورفرفت وحلقت عالياً ورجعت حيث تنتمي.. يشعر حينها ذاك العبد بحب الله.. يشعر بالتعلق بالله.. يشعر بلذة الاتّصال مع الله.. تنتابه قوه عجيبة بالتوكل على الله.. فيهدأ قلبه ويطمئن.

ساعة الخلوة مع الله

في ظل هذه التسارع في الزمان يكاد أحدنا لا يجد وقتاً يختلي فيه مع نفسه..

لذا كان لابد للمسلم المُحب لله .. أن ينظم وقته ليقتطع من يومه ساعة يسميها ساعة الخلوة مع الله، هذه الساعة الذهبية مهمّتها أن تلملم شعث قلبه، وتعيد السكينة إلى روحه، حتى إذا تعود عليها أدمنها وأصبح يسابق الوقت ليهيئ نفسه وظروفه لخلوته مع ربه .

لا تبخل على نفسك بهذه الساعة الذهبية كل يوم.. املأها بالاستغفار بخشوع وخضوع واستشعار مدى خطورة ذنوبك وسعة رحمة الله التواب الرحيم على عباده التائبين.

كيف أستقبل الآتي من عمري بعد أن بدأت بمشروع الاستغفار؟

- أولاً : التزم بوردك من الاستغفار واجعله في زيادة مستمرة.. ثم احرص على أن لا تضيع توبتك واستغفارك بذنوب جديدة تُحدثها.. فضلاً عن جبال الأوزار التي حرصت على محوها.. فنحن بِغِنى عن جلب قضايا جديدة لأنفسنا وأوزار مستمرة على ظهورنا.

- ثانيـًا : لا نريد أن نيأس.. فإذا وقعنا في ذنب سنقوم.. ونستغفر عما فعلناه من قبل وعما فعلناه اليوم.. وسنظل على هذه الحال حتى نصل إلى درجة تُمحى بها جميع ذنوبنا فترتقي أنفسنا إلى درجة أسمى وأرقى فنصبح عبادا أنفسًا ربانيين أتقياء أنقياء.. حيث نطلب من الله تعالى باستغفارنا أن يزيدنا تقوى واستقامة وقُربًا منه سبحانه.

- ثالثـًا: سنجدد عهدنا مع الله كل ليلة.. بأننا سنمضي الآتي من أعمارنا في طاعة الله ورضاه فقط.. والابتعاد عن المعاصي والزلات ما استطعنا، وهذه هي حقيقة الاستقامة .

فنحرص على..

- ضبط ألسنتنا: عن اللغو، والغيبة، والنميمة، والكذب، والشتم، والسب، والصراخ، والطعن، واللعن، وغيرها من آفات اللسان.

- وضبط جوارحنا : عن المشي إلى المحرمات، وعن معاصي السمع والنظر، وعن الغضب، وعن أذى المسلمين، وعن مجالس الباطل البعيدة عن الله تعالى وغيرها.

- وضبط قلوبنا : عن خواطر السوء، والظن السيء بالناس، وعن البغض، والحقد، وعن الكبر، والعجب بالنفس وجميع أمراض القلوب.

وبالتدريج.. ستصل إلى الولاية الربانية بإذن الله.. وتُكتب من أحبابه المقربين.

وسيصبح قلبك خالياً من كل تعلقات الدنيا؛ فلن يتعلق إلا بالله وما أعظمه وما أجلّه وما أجمله من تعلق..

انتبه..

السيئات تجذب كل شيء سيء في الدنيا والآخرة..

الحسنات تجذب كل شيء حسن في الدنيا والآخرة..

فاللهم اغفر لنا ما مضى.. وارزقنا التقوى فيما بقى.. وارزقنا الثبات والإخلاص والقبول يا ذا الجلال والإكرام.

نوايا الاستغفار

تستطيع أن تستغفر بنية أن يحقق الله لك ما تشاء انوِ عدة نوايا من استغفارك وهذه نبذة عن نوايا الاستغفار ومن ثم أطلق العنان لنفسك..

- استغفر الله بنية أن لا تتعلق إلا بالله وحده، بنية أن تصبح الآخرة همّك الوحيد..
- استغفر الله بنية أن يرضى الله عنك ويكتبك من أحبابه.
- استغفر بنية القوة وزيادتها، وبنية تيسير جميع أمورك في دينك ودنياك وآخرتك.

- استغفر بنية نور البصيرة وصفاء الروح والنفس.. وبنية إخراج وساوس الشيطان.. الشيطان يتمكن من الإنسان عن طريق الذنوب، فإذا استغفر العبد مُحيت الذنوب فطُرد الشيطان من حياته.
- الزم الاستغفار بنية أن يرفع الله عن الأمة الغُمة والذل والهوان.
- الزم الاستغفار بنية النصر والتمكين لمجاهدينا ومستضعفينا، وبنية هلاك الظالمين أعداء الدين.
- استغفر بنية أن تُبدل أحوالنا من خوف إلى أمن، ومن ذل إلى عزة.
- استغفر بنية أن يقضي لك الله أي حاجة من حوائجك مثل: النجاح، الشفاء، زيادة الرزق، قضاء دين، توفيق وتيسير الأمور، استجابة دعوات وما إلى ذلك.
- الزم الاستغفار بنية أن يرزقك الله عز وجلّ نفساً صبورة، وعقلاً حكيماً، وقلباً رحيماً.
- استغفر بنية أن يرزقك الله تعالى أن تكفل يتيماً، أو يرزقك صدقة جارية، أو علماً ينتفع به أو ذرية صالحة تدعو لك.
- استغفر بنية أن يشفيك الله أو يشفي أحبابك من المرض مهما كان مستعصياً، فالله هو الطبيب الذي يشفي بدون طب وبدون دواء.

استغفر بثقة ويقين بقبول الله لاستغفارك وابشر بالخير.

إذا شعرت بالضيق استغفر..وإذا شعرت باليأس استغفر.. فالاستغفار يفتح الأبواب المغلقة.. وهو بلسم القلوب الحزينة.. والأمل بالله الذي لا يتوقف.

الإنابة

عندما وصف الله عز وجل سيدنا سليمان عليه السلام، قال عنه: ﴿ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠ ﴾ [ص: 30] .

"نِعم العبد" وهذا ثناء عظيم أثناه الله على عبده، بسبب هذه الصفة التي لم يُخبرنا بها إلا لنقتدي به؛ فنُصبح نِعم العباد عند الله عز وجل ..

إنها صفة الإنابة..

وكلما كثرت إنابتك إلى الله..علا مقامك عند الله.

ما هي الإنابـــــــة؟ ولماذا يحبها الله؟

هي التعلق بالله والرجوع المستمر إلى الله تعالى عند كل كبيرة وصغيرة.. في حال الرخاء وفي حال الشدة.

1. أما عند الرخاء والنعمة؛ فتكون الإنابة إلى الله بكثرة الامتنان ونسب النعمة لله وحده، وأن الفضل كله لله، ولسان حالك يقول دومـًا: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ﴾ [النحل: 53].
2. وأما حال الشدة؛ فتكون بكثرة الرجوع إلى الله وبالاستغفار عن الذنوب وطلب الفرج من الله، وبكثرة التضرع والتوبة مع رد الحقوق لأصحابها.

هذا المنيب قلبه متعلق بالله في كل حال وفي كل حين.. لم يبق في قلبه أي تعلق بالدنيا..

ليس عنده هم إلا أن يكون الله راضٍ عنه.. وهو يعلم أنه لن يدوم له إلا الله..

فإما أن ترحل الدنيا عنه، وإما أن يرحل هو عنها ولن يبقى له إلا الله..

وهذا المُنيب عندما عرف هذه الحقيقة استجاب لها.. وسعى إليها وبنى عليها حياته كلها.. فارتفع قدره عند الله.

وُد الله للتائبين

تودَدَ الله ودّاً من نوع خاص للعباد..

فعندما تجرّأ العبد على المحرمات وقصّر في الواجبات.. والله يستُر ويحلُم عنه.. ويمدُّه بالنعم ولا يقطع عنه منها شيئًا.. ثم يقيّض له من الأسباب والتذكيرات والمواعظ ما يُبصر به الحقيقة.. بل و يُسخر له من يُذكره بالله.. من يُذكره بالرجوع إليه جل في علاه..

فيتوب العبد إليه وينيب..

فيغفر له الغفار تلك الجرائم، ويمحو عنه ما أسلفه من الذنوب العظائم..

ثم يعود عليه بودّه وحبه بعدما يغفر له ذنوبه، ومن هنا نفهم لماذا اقترن اسم الله الودود بالغفور، وبالرحيم في قوله عز وجل: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾ [البروج: 14].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ [هود: 90].

رحمة + مودة .. لمن ؟ للمستغفرين.

وفي هذا سر لطيف..

فالذين أذنبوا ثم استغفروا لذنوبهم وتابوا، غفر الله لهم ثم أعاد الودّ الذي بينه وبينهم كما كان..!

ومن كمال مودّته للتائبين.. أنه يفرح بتوبتهم فيأمر حملة العرش بالدعاء لهم.. فيتودد حملة العرش إلى الله عز وجل بالدعاء للمؤمنين التائبين.. هنا يَشهد الكون كله على عظمته عز وجل ورحمته .. ها هو مِن حُبه وعطائه ووده .. تكون أنت في فراشك نائماً.. وتبقى طاهراً ذاكراً وحملة العرش يستغفرون لك !..

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩ ﴾

[غافر: 7-9]

تصوّر هذا العطاء! حملة العرش يعلمون أنه سبحانه يحب المؤمنين التائبين، فيتقربون إليه بالاستغفار لمن تاب منهم.. أترى وداً مثل هذا الود !

هذه رحمة الله بالخلائق.. فهو أرحم بهم من والديهم ومن الناس أجمعين.

جسور الرحمة والود للمستغفرين

﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠ ﴾ [هود: 90].

هذه الآية تعني أن الله وضع بينه وبين المستغفرين خاصةً جسور رحمة ومودة..

إن كنت مستغفراً.. فكيف يتودد لك الله ؟

يتودد لك الله عز وجل بحبه وقربه منك وعنايته بك.. وإنقاذك من المواقف الصعبة.. وتيسير الصعب عليك.. وتأمينك حال خوف الناس.. وإسعادك حال حزن الناس.. واستجابة دعائك وهكذا حتى تصبح من أحباب الله.. عندها يتولاك الله ويعادي الله كل من عاداك، كيف لا وقد أصبحت من أولياء الله.

هل تتخيل أن الله من فوق سبع سماوات ومن فوق عرشه يحبك ؟!

نعم.. وأنت الذي تقرر أن تكون من أحبابه سبحانه.. فهو الذي أخبرنا أنه يحب التوابين.. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ [البقرة: 222] .. وليس بينك وبين حُب الله ووده إلا : لزوم الاستغفار والتوبة والإقلاع عن الذنوب والمعاصي .

هذا هو وعد الله فهنيئـاً لجيش المستغفرين.

اللهم نسألك حبك وحب من يحبك وكل عمل يقربنا إلى حبك.

حقيقة حسن الظن بالله عند الاستغفار

حسن الظن بالله: هو اليقين والتصديق المطلق بوعود الله لعباده.. هو الثقة المطلقة بكل وعد كتبه الله عز وجل على نفسه في كتابه.

حسن ظنك بالله، هو ثقتك المطلقة بتمام رحمته بالتائبين..

وثقتك المطلقة بتمام إجابته للسائلين..

في الحديث الذي يحكيه النبي ﷺ عن ربه عز وجل قال:

"أذنب عبدٌ ذنبًا فقال: اللهم اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا، فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي ربي اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي ربي اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك" [صحيح مسلم].

لم ييأس هذا العبد من كثرة ذنوبه وزلّاته .. وكان في كل مرة يُذنب فيها يرجع إلى ربه تائبًا مستغفراً مُحسنًا الظن بربه.. ظانّـًا به خيراً، أنه هو الغفور الرحيم لعباده التائبين المستغفرين.

ومن هنا نفهم لماذا غفر الله تبارك وتعالى لذلك العبد مع كثرة زلّاته.. لقد كان هذا العبد واثقـًا بأن الله لم يسمِّ نفسه الغفور إلا لأنه سيغفر للمذنبين.. أحسن ظنه بالله حينما قال تبارك وتعالى في الحديث القدسي:

" ... يا عبادي إنكم تخطؤون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم" [صحيح مسلم].

فكان كلما أذنب يرجع تائباً إلى ربه، وثِق بالله فلم يضيعه الله.

شرط حسن الظن بالله هو إحسان العمل

- حسن الظن بالله هو أن تحسن العمل ثم تنتظر الثواب الذي وعد الله به على هذا الإحسان..
- فمن يحسن الظن بربه.. يدرك يقيناً أن له رباً غفّاراً يغفر الذنوب جميعاً.. وأن له رباً يسمع ويجيب الدعاء..
- حسن الظن بالله هو الثقة المطلقة بأن الله لن يضيع عبده، وسيقبل توبته وسيجازيه على استغفاره وأن وراء كل أمر يحدث مصلحة خفية للعباد، وأن الإنسان لو اضطلع على الغيب لاختار الواقع !
- حسن الظن بالله هو أن تستغفر الله وتدعوه واثقاً بالإجابة مُحسناً الظن بربك أنه القريب المجيب.

ومن وعود الله تبارك وتعالى:

وعده للتائبين.. وعده للمستغفرين..

ظنّ العبد بأن الله سيرفع درجته إن ترك المعاصي ولزم الاستغفار، فاستيقظ مستغفراً في الأسحار.. وجاهد نفسه على ترك المعاصي وإصلاح ما مضى.. وعلى الالتزام بالطاعات.. ثم جاهد نفسه على النوافل .

كل هذا بسبب حسن ظنه بالله بأنه سيجازيه ويرفع درجته بهذه الطاعات.. وهكذا كلما زاد حسن ظنه بالله زاد رجوعه إلى الله وزاد استغفاره وزاد عمله.. فارتفع درجات ودرجات عند الله.

حسن الظن بالله والأمل الزائف

ولكن.. وجب على الإنسان أن يعلم أن حسن الظن بالله مع اتّباع الهوى، هو عجز وغرور، وأن هذه الوعود ليست للجميع بل هي فقط لمن دفع ثمنها !

قال ﷺ :"الكَيِّس مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِما بَعْدَ الْموْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَه هَواهَا، وتمَنَّى عَلَى اللهِ"[رواه الترمذي] .

الكَيِّس: العاقل الفطن.

دان نفسه: حاسبها حتى انقادت له.

فلا تتوقع أن تكون متّبعـًا لأهوائك الشخصية.. منغمسـًا في المعاصي والذنوب والتّفلّتات والسقطات وتتمنى أن يغفر الله لك.. هذا ليس بعدل!

كثير من الناس يظن أنّه لو فعل ما فعل ثم قال: استغفر الله.. لزال أثر الذنب وذهب هذا بهذا؛ لذلك نجد الكثير منهم يستغفرون وهم في الهموم غارقون!

وقد يقول قائل: أنا أفعل ما أفعل ثم أقول: سبحان الله وبحمده مئة مرة فيُغفر ذنبي كله، محتجـًا بالحديث الذي أخرجه البخاري أن النبي ﷺ

قال:"من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مره حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر".

هذا النوع من الناس، تمسّك بهذه النصوص واتّكل عليها وتعلق بها بكلتا يديه، فإذا عوتب بخطاياه وذنوبه، سرد ما يحفظه عن سعة رحمة الله ومغفرته فرحًا فخوراً بنفسه !

والحقيقة أن حسن الظن بالله إنّما يكون مع الإحسان بالعمل.. كمن غرس الزرع ثم انتظر قطف الثمار.

وكما قال الحسن البصري: إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل، وإن الفاجر أساء الظن بربه فأساء العمل.. أساء الظن بالله عندما اعتقد أن الله سيغفر له مع إصراره على المعاصي والظلم.

وكيف يكون الإنسان محسن الظن بربه وهو شارد عنه حالٌّ مرتحلٌ في مساخطه وما يغضبه! مقيم على المعاصي مضيع لحقوق الله وأوامره، وهو مع هذا يحسن الظن بربه سبحانه؟

وهذا هو الغرور بعينه والسذاجة والجهل !

وبالمقابل..

إياك واليأس مهما عظمت ذنوبك.. فحسن الظن بالله ينفع من تاب وندم وأقلع وبدّل بالسيئة الحسنة.. واستقبل باقي عمره بالطاعات.. وهذا العبد حقّ له أن ينتظر

الفرج والرحمة والسكينة والطمأنينة.. مهما فعل في الماضي !.. فقد قدم موجبات المغفرة.. وموجبات الرحمة.. وحقّ له أن يُحسن الظن بربه.

موقفك عند التوبة

يجب أن توقن عند التوبة، بأن الله لم يسمِّ نفسه الغفّار.. التواب .. العفو.. غافر الذنب .. قابل التوب .. واسع المغفرة.. خير الغافرين.. أرحم الراحمين؛ إلا لأنه يريد أن يغفر لك ويقبل توبتك، ويبيض صحيفتك، إذا صدقَت توبتك بالعزم على ترك الذنوب والمعاصي .

عندما تذنب ذنباً.. سارع إلى الاستغفار والتوبة ولا تنتظر.. وإذا أذنبت ذنباً آخر فسارع إلى الاستغفار مرة أخرى دون انتظار.. وهكذا حتى تدخل تحت مسمى التوابين .

واعلم أن الله يحب التوّابين.. وثِق بأن الغفّار سيقبل توبتك وسيغفر ذنبك.

وهذا هو حسن الظن بالله عند التوبة.

وبالنهاية..

سنظلّ نبكي ونبكي ويزداد الألم ألماً وتزداد الحياة ضيقاً ومُرّاً، حتى نرجع ونتوب إلى الله من ذنوبنا ونلزم الاستغفار بالليل والنهار.

لا تشغل نفسك بالماضي، فالماضي انتهى ولن يعود، ولا تشغل نفسك بالمستقبل فالغيب في علم الله، لكن اشغل نفسك الآن بالاستغفار والإقلاع عن الذنوب، وسترى الحياة الطيبة .. وسترى إجابة دعواتك أمام عينيك بإذن الله.

وتبقى عظمة الاستغفار مخبأة بين السطور.. حتى تعيش معه أياماً وشهوراً طويلة بأيامها ولياليها..

ولا تستعجل النتائج.. اصبر واستمر.. فمن وفّقك للاستغفار لم يُجرِه على لسانك إلا لأنه أراد بك خيراً.. ثِق بأنه عز وجلّ لن يخذلك ولن يضيعك.

أَبَعدَ هذا الودّ تبقى معرضـاً عن الرجعة

إلى الودود .. إلى الغفور .. إلى الرحيم؟

مازال باب التوبة مفتوحـاً.. فبادر قبل أن تغادر..

أسألُ الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا من التوابين الأوابين

المستغفرين وأن يغفر لنا ذنوبنا ويستر عيوبنا إنه جوادٌ كريم.

وصلِّ اللهم وسلّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

صلاةً دائمةً إلى يوم الدين.

والحمد لله حمداً كثيراً طيبـاً مباركـاً فيه

حمداً دائمـاً بدوامه لا يبيد ولا يزول

أبد الآبدين.

قائمة المراجع:

1. صحيح البخاري أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي تحقيق: جماعة من العلماء الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة – بيروت .
2. صحيح مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ – ٢٦١ هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها) عام النشر: ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م
3. سنن ابن ماجه ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت ٢٧٣ هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي .
4. الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
5. سنن أبي داود أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
6. صحيح الجامع الصغير وزياداته أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت ١٤٢٠هـ) الناشر: المكتب الإسلامي .

7. الإيمان تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ) المحقق: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

8. صحيح سنن أبي داود الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠ هـ) الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

9. احذر عاقبة الذنوب أزهري أحمد محمود الناشر: دار ابن خزيمة

10. سنن الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

11. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي (ت ٢٣٥ هـ) تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت الناشر: (دار التاج – لبنان)، (مكتبة الرشد – الرياض)، (مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة) الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

12. .الزهد أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ) وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

13. العقد الفريد أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ.

14. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف المؤلف: عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (ت ٦٥٦ هـ) المحقق: إبراهيم شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٧ .

15. مفاتيح الغيب التفسير الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

16. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ) تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي محمد عبد الكبير البكري الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب عام النشر: ١٣٨٧ هـ

17. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة محمد راتب النابلسي الناشر: دار المكتبي– سورية–دمشق– الحلبوني– جادة ابن سينا الطبعة: الثانية 1426هـ –2005م

18. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى 1420هـ – 2000م.

19. معجم الشيوخ الكبير للذهبي شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي تحقيق: الدكتور محمد الحبيب الهيلة مكتبة الصديق الطائف المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى 1408هـ – 1988م .
20. تفسير الشعراوي_الخواطر محمد متولي الشعراوي مطابع أخبار اليوم1997
21. تم أخذ عدة معلومات من عدة مواقع موثوقة على الشبكة العنكبوتية مثل :موقع الدرر السَّنية، وموقع ابن باز، وموقع الاسلام ويب، وموقع الاسلام سؤال وجواب.

الفهرس

****

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات

حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه

حمداً دائماً بدوامه

لا يبيد ولا يزول أبد الآبدين

****